تحرّرُ المرأةِ العامِلة

ترجمة: فوّاز طرابلسي و طلال الحسيني

تأليف: ألكسندرا كولونتاي

دار الطليعة - بيروت

تحرّرُ المرأةِ العامِلة

تأليف: ألكسندرا كولونتاي

ترجمة: فوّاز طرابلسي و طلال الحسيني

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار الطليعة
بيروت - ص.ب ١٨١٣

الطبعة الاولى
كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢

من هي الكسندرا كولونتاي؟

الكسندرا كولونتاي من ابرز نساء الحركة الشيوعية الروسية . حتى ان مكسيم غوركي يروي على لسان مارتوف قوله : « يوجد في روسيا شيوعيان اثنان فقط : لينين ومدام كولونتاي » !

كانت اول امراة في العالم تشغل منصب وزير . ولعبت دورا هاما في الحزب والدولة خلال السنوات الاولى لثورة اكتوبر . ثم واصلت خدمتها للدولة السوفيتية في السلك الدبلوماسي خلال ربع قرن . لكن مساهمتها الكبرى هي نضالها الذي كرست له كل حياتها ، ككاتبة ومناضلة شيوعية ، من اجل تحرر المراة ، وتحرر النساء العاملات بشكل خاص .

ولدت **الكسندرا دومونتوفتش** في اسرة عقيد بالجيش الروسي في سان بطرسبرغ عام ١٨٧٢ ، لمئة سنة خلت ،

وتزوجت احد اقاربها ، المهندس فلاديمير كولونتاي . تأثرت باكرا بالافكار الثورية عبر نظرية داروين التطورية واهتمامها بالتربية وعلم نفس الاطفال . ومع افول القرن التاسع عشر، كانت كولونتاي في عداد ذاك الرعيل من النساء الارستقراطيات والبرجوازيات اللواتي سعين الى التحرر الشخصي عبر التدريس ، عبر « التوجه الى الشعب » . وكانت تلك الفترة تشهد نهايات « الحركة الشعبوية » التي تعتبر الفلاحين عماد الثورة ضد القيصرية ، والجماعية البدائية في الريف قاعدة الانتقال المباشر الى الاشتراكية . وقد انشق عنها جناح ارهابي سرعان ما اتضحت حدوده ، بعد سلسلة من الاغتيالات الفردية الجريئة ضد القياصرة وكبار موظفي الدولة .

في تلك الاثناء ، كانت روسيا عند منعطف تاريخي . فقد ادى النمو المتسارع للصناعة ، وتمركزها الشديد ، وانتقال مئات الالوف من الاقنان السابقين للانخراط بقسوة في العمل المأجور ، وتغلغل الراسمالية في الزراعة وتدميرها السريع للانتاج البطريركي – الى ولادة الطبقة التي ستتمكن من الانتصار اخيرا على القيصرية وبناء الاشتراكية : الطبقة العاملة . ومن العلامات الفارقة لهذا الانعطاف الاضرابات العمالية الضخمة في سان بطرسبرغ عام ١٨٩٦ ، حيث اسهمت العاملة الى جانب العامل في تحطيم الآلات (وهو احد الاشكال البدائية للصراع الطبقي) ومقاومة الشرطة .

مع البروز السريع للطبقة العاملة الروسية ، برزت الحلقات الماركسية التي اتحدت في **حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي** ، عام ١٨٩٨ . انضمت كولونتاي الى الحركة العمالية منذ سنيها الاولى . وقد اثرت فيها زيارة قامت بها لأحد مصانع النسيج الضخمة الذي يضم ١٢٠٠٠ عاملة وعامل . فقررت بعد ذاك ربط مصيرها بالطبقة الثورية الصاعدة . فادى التزامها السياسي الى تأزم علاقاتها بزوجها الذي اعتبر نشاطها السياسي بمثابة تحد شخصي له . فانفصلت عنه ومعها طفلها الوحيد رغم ما كانت تكن له من حب واحترام . واختارت حياة النضال والعمل الخلاق على حياة الحب والاسرة . ولم يكن مثل هذا الاختيار امرا يسيرا بالنسبة لها ولبنات جيلها . وتروي في مذكراتها (المكتوبة عا ١٩٢٦) :

« لا زلت أنتمي الى جيل من النساء نشأ عند منعطف التاريخ . وكان الحب ، بكل ما يجره من خيبات أمل متكررة ومآس وسعي دائم وراء السعادة الكاملة ، لا يزال يلعب دورا كبيرا في حياتي ، دورا اكبر مما يجب ان يكونه ! ولقد هدرت فيه الوقت الثمين والكثير من الطاقة ، ويمكن القول انه كان عديم الجدوى ، في التحليل الأخير . فنحن ، نساء الجيل الماضي ، لم نكتشف السبيل الى التحرر الفعلي . فبذلنا طاقاتنا بدون حساب ، وهدرنا قدراتنا العملية في تجارب عاطفية عقيمة . وتأكيدا ، فاني وغيري من المناضلات

والكادحات ، ادركنا ان الحب ليس الهدف الاساسي للحياة، وتمكنا من ان نجعل العمل محورا لحياتنا . ولولا اننا لم نهدر طاقاتنا في الصراع الدائم مع عواطفنا تجاه الآخرين ، لكنا استطعنا بذل المزيد من الجهد الخلاق . والواقع ان هذا النزاع كان حربا دائمة ضد تدخل الرجل في شؤوننا وتعديه على ذاتيتنا ، نزاع يدور حول مشكلة معقدة : العمل او الحب والزواج ؟ نحن نساء الجيل القديم ، لم ندرك ، كما يدرك الشباب والشابات اليوم ، انه يمكن التوفيق بين العمل والسعي وراء الحب ، بحيث يبقى العمل محورا للوجود . فقد منحنا كل ذاتنا للمحبوب على امل بلوغ التناغم الروحي الكامل .

غير ان الرجل كان يسعى باستمرار الى فرض ذاتيته علينا وتكييفنا حسب مبتغاه . فاضطرمت الثورة في داخلنا، رغم كل شيء ، وتحول الحب تكرارا الى قيد يقيدنا ، وشعرنا باننا مستعبدات وحاولنا التحرر من قيد الحب . وبعد نضالات متواصلة مع المحبوب ، انعتقنا اخيرا ، وتدافعنا نحو الحرية. وسقطنا مجددا في الوحدة والتعاسة والوحشة. لكننا كنا ننعم بحرية السعي وراء فارس احلامنا ـ العمل .

من حسن حظ الجيل الحالي انه ليس مضطرا الى خوض غمار هذا النضال العديم الجدوى بالنسبة للمجتمع البشري ، فيوفر كامل جهوده للنشاط الخلاق » .

بعد ان استعادت كولونتاي « حريتها » غادرت روسيا

الى المانيـــا ، ودرست الاقتصاد السياسي في زيوريـخ ، واسهمت في الحركـــة الاشتراكية الديمقراطية الالمانيـــة ؛ وتوثقت صلاتها بأبرز قادتهـــا ، وبخاصـــة روزا لوكسمبرغ وكلارا زنكن . اما على صعيد السياسة الثورية الروسية ، فقد وقفت كولونتاي الـى جانب المناشفة خـــلال انشقاق الحزب عام ١٩٠٣ . ولم تنضم الى البلاشفة الا خلال الحرب العالمية الاولى .

عادت كولونتاي الى روسيا مـع اندلاع الثورة الاولى عام ١٩٠٥ . وكرست معظم وقتها ، في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، للعمـل بـين النساء . تأسست الحركـــة النسائية في روسيا عقب الثـورة الاولى . وكانت بقيـــادة الحركة النسوانية البرجوازية ، المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجـال والنساء ، بغض النظر عـن التحولات الاجتماعية والسياسية المطلوبة لتحقيقها ، وسعيها لتنظيم كافة النساء حول هذا المطلب ، الامر الذي يميّع وعي العاملات للاستغلال الذي يتعرضن له ويضعهن تحت القيادة البرجوازية . في سعيها لتأسيس عمـل اشتراكي بـــين النساء ، اضطرت كولونتاي الى النضال على جبهتين : ضد الحركة النسوانية من جهة ، ومن اجـل اقنـاع رفاقها ورفيقاتها في الحزب الاشتراكي الديمقراطي بضرورة الاهتمام بتنظيم العاملات . فأسست مع رفيقات لها **نادي النساء العاملات** ، عام ١٩٠٦ ، لدراسة قضايا المراة العاملة ، والتدريب على مختلف اشكال

الدعاية والتحريض في صفوف العاملات . واخذت تطالب بانشاء اجهزة حزبية متخصصة للعمل بين النساء ، انطلاقا من خصوصية وضع المراة كأم وربة بيت، وبالتالي خصوصية اشكال القهر والاستغلال الاضافية التي تتعرض لها . وقد اسهم هذا النادي في تكوين اول نواة للحركة الاشتراكية النسائية في روسيا . وفي **المؤتمر النسائي الاول لعموم روسيا** ، المنعقد عام ١٩٠٨ ، امكن للمراة العاملة ان تتمثل وتطرح مطالبها المتميزة بوفد من النساء الاشتراكيات ضم ٣٠ عاملة ، معظمهن من الاميات .

مع اشتداد موجة القمع والارهاب ، وصدور امر بالقاء القبض عليها ، اضطرت كولونتاي الى سلوك طريق اعنف عام ١٩٠٧ . في المانيا ، واصلت عملها النسائي ، وحضرت مؤتمر شتوتغارت للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني (١). كذلك كانت كولونتاي في عداد المحاضرين في مدرسة الكادر الحزبية للعمال الروس في ايطاليا ، ووضعت مشاريع القوانين حول رعاية الامومة والطفولة ليقدمها النواب الاشتراكيون ـ الديمقراطيون في مجلس الدوما . وفي المنفى صدر كتابها « الاسس الاجتماعية لمسالة المراة » وهو بمثابة سجال ضد الاتجاه النسواني ودعوة للحزب الاشتراكي

---

١ ـ راجع اخبار هذا المؤتمر في الدراسة حول «تاريخ حركة العاملات الاشتراكية في اوروبا» . ـالمترجمـ

الديمقراطـــي الروسي ان يبني حركة عماليـــة نسائيـــة . شاركت ، عام ١٩١١ ، في تنظيم اول عيد عالمي للمرأة ، الذي ما زلنا نحتفل به في الثامن من آذار (مارس) من كل عام . وزارت فرنسا حيث ساهمت في تنظيم اضرابات ربات البيوت ضد غلاء المعيشة ، وانكلترا ، حيث اطلعت على الدور الذي تلعبه النساء في النقابات العمالية الانكليزية .

غادرت كولونتاي المانيا بعد اندلاع الحرب العالمية ، وقد ضعقها موقف اغلبية الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطيـــة الاوروبية المؤيـــدة لحرب اقتسام المفـــانم بـــين الدول الاستعمارية . فقطعت صلاتهـــا نهائيا بالاتجـــاه المنشفـــي وانضمت اخيرا الى البلاشفة في حزيران (يونيو) ١٩١٥ . ولعبت طوال ذلك العـــام دورا هاما ، الى جانب الكسندر شليابنيكوف ، في الدعاية ضد الحرب والاتجاه الاشتراكي ـ الامبريالي في الحركة العمالية ، وكانت صلـــة الوصل بـــين لينين ـ في سويسرا ـ واللجنـــة المركزية للحزب البلشفي داخل روسيا . ثم سافرت الى الولايات المتحدة ، بتشجيع من لينين ، حيث قامت بجولة واسعة القت خلالها عشرات المحاضرات ضد الحرب الاستعمارية ومن اجل تحويلها الـــى حرب اهلية ضد الرأسمالية .

وعادت كولونتاي الى روسيا بعـــد انهيـــار الحكـــم القيصري . وكانت الحرب قد رفعت اكلاف المعيشـــة ، وهذا ما شجع البلاشفة على ايلاء العمل بين النســـاء العاملات اهمية

خاصة . فأسهمت في اصدار صحيفة نسائيـة ـ « **النساء العاملات** » ـ وفي تنظيم تحركات العاملات ضد غلاء المعيشة ومن اجل التخفيف من اعباء العمل المنزلي . الا ان مساهمتها الرئيسية خلال تلك الفترة كانت في الحزب نفسه . فكتبت في « **البرافدا** » وكانت من البلاشفة الاوائل الذين وقفوا الى جانب لينين في نيسان (ابريل) ١٩١٧ عندما قدم اطروحاته الشهيرة الداعية الى اسقاط الحكومة البرجوازية المؤقتـة بواسطة السوفييت ، وتسلم الطبقة العاملة للسلطـة وبناء الاشتراكية . فاعتقلت خلال الردة الرجعية حزيران ـ تموز (يونيو ـ يوليو) ١٩١٧ ، وأودعت احد سجون بتروغراد ، ثم افرج عنها لتوضع قيد الاقامة الجبرية . وكانت كولونتاي عضوا في اللجنة المركزيـة التي اتخذت قرار اعـلان الثورة وقادت عملية تنفيذها .

عينت كولونتاي **مفوضة الشعب (وزيـرة) للشؤون الاجتماعية** في اول حكومـة بلشفية برئاسة لينين . وشغلت هذا المنصب حتى آذار (مارس) ١٩١٨ . فارست الاسس لعدد واسع مـن التحولات الجذرية بالنسبة لوضـع المراة والخدمات الاجتماعية عامة . وكان من اول اجراءاتها تحسين احوال مشوهي الحرب ، والغاء التعليم الديني للفتيات في المدارس الرسمية ، واحالة الراهبات والرهبان الى الادارة المدنية ؛ ومنح الطالبات حق الادارة الذاتية للمدارس ، وايواء الايتام واللقطاء فـي مؤسسات خاصة بالمشردين . وشكلت

اللجنة التي وضعت قانون الضمان الصحي **المجاني** الشامل لجميع سكان روسيا ، وانشأت **المكتب المركزي لرعاية الامومة والطفولة** في مطلع ١٩١٨ ، وحولت مستشفيات التوليد الى بيوت مجانية لرعاية الامومة والطفولة تتولى ارشاد الحوامل وتوفير وسائل منع الحمل ، وانشأت الحضانات النهارية لايواء اطفال العاملات ...

وفي غضون سنة من تسلم البلاشفة الحكم ، كانوا قد الغوا سيطرة الكنيسة على الزواج وحققوا المساواة الكاملة في الحقوق بين الرجال والنساء ، وبات الزواج اتفاقا حرا بين شريكين متساويين ، يحق لاي منهما طلب حله .

وعقد في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، اول مؤتمر للفلاحات والعاملات ضم ١١٤٧ مندوبة . وانبثقت عنه لجنة لتوعية النساء الكادحات ، على حقوقهن الجديدة ومحاربة كافة اشكال التمييز ضد النساء ، في الحزب والمجتمع . وكان الهم الرئيسي لهذه اللجنة تعبئة النساء للمساهمة في النضال السياسي وفي بناء الاشتراكية .

خلال الحرب الاهلية ، استدعيت كولونتاي للنضال على جبهة القتال ، اذ **عينت مفوضة للشعب لشؤون التوعية والاعلام** في الحكومة الاوكرانية ، فأسهمت في تجنيد مئات النساء لصد الهجمة الرجعية المدعومة من الاستعمار الانكلو ـ فرنسي . وعند عودتها الى موسكو ، تولت **مكتب التنسيق للعمل بين النساء** في الحزب ، الذي اشرف على

اصدار صحيفة شيوعية نسائية ، ونظم العمل بين النساء المسلمات ، وعقد مؤتمرين عالميين للنساء في موسكو . وتكلل نشاط كولونتاي بالنجاح عندما دعم لينين شخصيا مشروعها القاضي بجعل الاجهاض شرعيا يتم تحت رعاية الدولة وعلى حسابها .

في تلك الاثناء ، كان يدور في صفوف الحزب البلشفي سجال عاصف حول دور النقابات في ظل دكتاتورية البروليتاريا . فوقفت كولونتاي موقفا معارضا لاغلبية الحزب ، يدعو الى تسيير الصناعة من قبل **مؤتمر للمنتجين في عموم روسيا** . وشكلت كتلة حزبية معارضة مع الكسندر شليابنيكوف وبعض القادة النقابيين عرفت بـ **« المعارضة العمالية » (١)** . وكانت « المعارضة العمالية » ترد بالدرجة الاولى على تروتسكي الذي رفع شعار « عسكرة العمل » بفرض الانضباط العسكري الصارم على الطبقة العاملة ، وتسخير النقابات لتنفيذ هذه السياسة ، واعتماد التعيين

---

١ ـ لخصت كولونتاي افكارها الرئيسية حول هذا الموضوع في كراس بعنوان « المعارضة العمالية » . اما نصوص لينين فاهمها اثنان : « النقابات العمالية ، الوضع الراهن واخطاء تروتسكي » و « مجددا حول النقابات العمالية والوضع الراهن واخطاء تروتسكي وبوخارين » . (**المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٣٢) .

بدل الانتخاب في اختيار القيادات النقابية . وقد التفت غالبية الحزب حول لينين الذي ادان بشدة **النزعة البرقراطية الادارية** عند تروتسكي . ورد على « المعارضة العمالية » معتبرا ان الدعوة الى تسيير النقابات للانتاج والصناعة يلغي الدور القيادي للحزب ، ودور النقابات كحلقة وصل بين الطليعة الشيوعية والجماهير ، فتبقى الطبقة العاملة نهبا لشتى الاضاليل والانحرافات التي ترشح اليها من الوسط الفلاحي والبرجوازي الصغير المحيط بها . ودعا لينين في المقابل : (١) الى منح النقابات حدا من الاستقلالية للاستمرار في الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة تجاه الدولة السوفييتية، التي لم تصبح بعد دولة اشتراكية وانما هي دولة عمالية « ذات انحراف بروقراطي » ترتكز الى تحالف العمال مع الفلاحين الذين يشكلون اكثرية الشعب الساحقة . (٢) الى اعتبار النقابات مدرسة للشيوعية ومدرسة للادارة العمالية. وقد هزم الجناحان المعارضان في مؤتمر الحزب عام ١٩٢٢ وصدرت عنه توصية باعتبار « المعارضة العمالية » تكتلا ممنوعا .

بعد هذا التاريخ ، تقلص دور كولونتاي في السياسة الداخلية . فانضمت الى السلك الخارجي عام ١٩٢٣ وشغلت عدة مناصب دبلوماسية في النروج والمكسيك وفنلندا والسويد ، الى ان رقيت الى رتبة سفيرة متجولة عام ١٩٤٣ . وقد انتدبتها الحكومة السوفييتية لتوقيع اتفاقية

الهدنة السوفييتية ـ الفنلندية عام ١٩٤٥ .

وما من شك في ان انسحاب كولونتاي المبكر من الحياة السياسية الداخلية قد انقذها من المصير المظلم الذي لاقاه رفاقها في « المعارضة العمالية » والعديد غيرهم من قادة وكوادر الحزب البلشفي من مختلف الاتجاهات على يد ستالين في منتصف الثلاثينيات . وقد توفيت كولونتاي في موسكو عام ١٩٥٢ ولها من العمر ثمانون عاما . وتركت عددا كبيرا من الكتابات حول قضايا التربية ، والمسألة القومية والاشتراكية في فنلندا ، والحرب العالمية ، والطبقة العاملة الاوروبية ، وقضايا السلطة العمالية في روسيا السوفيتية ، ننشر منها ثلاثة نصوص « الشيوعية والاسرة » وهو كراس دعاوي كتب بعد قيام السلطة السوفييتية و « تاريخ حركة العاملات الاشتراكية في اوروبا » و « التقرير امام المؤتمر الثالث للكومنترن » ننشره هنا مع المقررات المرتبطة به (ترجم النصين الاول والثاني فواز طرابلسي وترجم النص الثالث طلال الحسيني). لقد لخصت كولونتاي نفسها فهمها لقضية تحرر المراة التي نذرت حياتها لها بهذه العبارات المقتطفة من مذكراتها (المكتوبة عام ١٩٢٦) :

« اذا كنت قد حققت شيئا في هذا العالم ، فليس مرد ذلك لصفاتي الشخصية . فانجازاتي ما هي الا الدليل على ان المراة باتت تسير باتجاه كسب الاعتراف العام بها ، على الرغم من كافة الصعاب . فانخراط ملايين النساء في

العمل الانتاجي ، الذي تم بوتيرة متسارعة خلال الحرب ، هو الذي افسح المجال امام المرأة لكي تحتل أعلى المراكز السياسية والدبلوماسية . غير انه من المؤكد ان بلدا مستقبليا ، كالاتحاد السوفييتي ، هو وحده القادر على معالجة قضية المرأة دون افكار مسبقة ، وعلى تقييم أعمالها فقط من منظار مهارتها ومواهبها ، وبالتالي فهو وحده القادر على ان يوكل اليها مراكز المسؤولية . وحدها العواصف الثورية الجديدة امتلكت القوة الكافية لتكنيس كافة العقد والترسبات ضد النساء . ووحدة الشعب الكادح المنتج هو القادر على تحقيق المساواة الكاملة والتحرر الناجز للمرأة ببنائه المجتمع الجديدة » .

ف. ط.

الشيوعية والاسرة

انهاء تبعية المرأة للرجل

هل تحافظ الدولة الشيوعية على الاسرة ؟ هل ستبقى الاسرة في شكلها الراهن ؟ ـ هذا سؤال يجـــول في خاطر العاملات ويثير اهتمام رفاقهن العمال . هــذه هي المشكلة التي كانت تشغل بال النساء العاملات في الآونة الاخيرة . ولا عجب ، فالحياة تتغير امام اعيننا . والعادات والتقاليد السابقة تزول تدريجيا . وكل حياة الاسرة البروليتارية يعاد تنظيمها بطريقة جديدة كل الجدة ، طريقة غير مألوفة ، لا بل «غريبة» ، لم يكن بامكاننا ان نتنبأ بها مــن قبل . والذي يزيد في حيرة النساء ان الطلاق بات في روسيا السوفييتية اسهل مما كان من قبل . والواقع ان الطلاق لم يعد امتيازا

للاغنياء بعد صدور مرسوم « مجلس مفوضي الشعب » (١) في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ . لم تعد المراة العاملة مضطرة لان تقدم العرائض والالتماسات طوال الاشهر او حتى السنوات للحصول على ترخيص يخولها التحرر مـــن زوج متوحش او سكير يقضي معظم وقته في ضربها واهانتها . من الان فصاعدا ، بات بالامكان الحصول على الطلاق ، حبيا ، بالتراضي ، خلال مهلة لا تتعدى الاسبوع او اسبوعين . لكن هذه السهولة في الحصول على الطلاق ، التي تشكل مصدر امل كبير لنساء شقيات في حياتهن الزوجية ، تزرع الخوف، في الوقت ذاته ، بين فئة من النساء اعتادت اعتبار الرجـل « ربا للاسرة » وسندها الوحيد في الحياة ـ نساء لم تدرك بعد انه **صار يجب البحث عن هـذا السند ليس في شخص الرجل وانما في شخص المجتمع والدولة .**

تغير أشكال الاسرة عبر التاريخ

لا حاجة لان نضلل انفسنا : الاسرة المعروفة لدينا منذ القدم ، حيث الرجل كل شيء والمراة لا شيء ـ لانها مسلوبة الارادة، لا مال خاصا بها ولا وقت تتصرف به بملء ارادتها ـ

---

١ ـ التسمية الرسمية لمجلس الوزراء في روسيا السوفييتية خلال السنوات الاولى من الثورة . ـالمترجمـ

هذه الاسرة آخذة بالتحول يوما بعد يـــوم . وهي تكـــاد تصبح من مخلفات الماضي . ولكن لا حاجة لان يخيفنا هـــذا الامر . البعض مستعد لان يصدق ان كل ما هو حولنا ابدي ازلي سرمدي ، لا يحول ولا يزول . هذا الاعتقـــاد مصدره الخطأ او الجهل . الحقيقة ان كـــل ما هـــو حولنا يتغير باستمرار . « هكذا كانت الامور ، وهكذا ستبقى » ـ ليس اكثر تضليلا من هذه الحكمة ! يكفـي ان نقرأ كيف عـــاش اسلافنا لندرك فورا ان كل شيء عرضة للتغيير ، وانه ليس ثمة مـــن عادات او مؤسسات سياسية او اعراف وقيـم اخلاقية تبقى جامدة ولا تتغير ، والحال ان الاسرة تغيرت بتغير اطوار حياة البشر . وقد كانت في الماضي مختلفة كليا عما هي عليه الان .

في الماضي ، كان الناس يظنون ان هناك شكلا وحيـدا طبيعيا للاسرة . وهو الاسرة **النسكية** ، اي الاسرة التـــي تتراسها **الجدة** التي يتحلق حولها ـ في حياة وعمل جماعيين ـ اولاد واحفاد واحفاد الاحفاد. وفي مرحلة ثانية من التاريخ، ظن الناس ان الاسرة **البطريركية** هي الشكل الوحيـد للاسرة . والاسرة البطريركية هي التي يراسها **الاب السيد** عليها . ان هذا الشكل من اشكال الاسرة لا يزال الشكل السائد بـين فلاحي الريف الروسي، والواقع ان القيم الاخلاقية والاعراف العائلية في الريف غيرها في المدن بـين العمال . فالريف يحتفظ بعدد كبير من العادات والتقاليد التي اندثرت فـي

اسرة بروليتاريي المدن . ثم ان اشكال الاسرة ، وعاداتها وتقاليدها ، تختلف باختلاف الاجناس البشرية . هناك شعوب كالاتراك والعرب والايرانيين مثلا ، يجيز القانون عندهم للرجل بان يتزوج اكثر من امراة . كما انه كان ، ولا يزال ، يوجد قبائل تمارس العادة المناقضة تماما ـ تلك التي تجيز للمراة بان تتزوج اكثر من رجل واحد . التقاليد الحالية تجيز للرجل ان يطالب ببقاء الفتاة عذراء الى حين انعقاد الزواج الشرعي . غير انه توجد قبائل ، في المقابل ، تفاخر المراة فيها بكثرة عدد عشاقها ، فتزين يديها وقدميها بخواتم بقدر عددهم . مثل هذه الممارسات التي لا تنفك تثير دهشتنا ، والتي قد تذهب الى حد اعتبارها منافية للاخلاق، قد تكون طقوسا مقدسة عند شعوب اخرى . ولو تسنى لهذه الشعوب ان تطلع على عاداتنا وتقاليدنا ، لاعتبرتها كفرا وهرطقة .

فلا حاجة اذن لان يمتلكنا الذعر من كون الاسرة تتغير وتنفض عن نفسها آثار الماضي المندثر ، مفسحة المجال امام بناء علاقات جديدة بين المراة والرجل . يكفي ان نسأل : « ما الذي لم يعد يماشي سنة التطور في نظام الاسرة ؟ وفي العلاقة بين العامل والعاملة ، وبين الفلاح والفلاحة ؟ وما هي الحقوق والواجبات المتبادلة الاكثر ملاءمة لظروف الحياة في روسيا الجديدة ، في روسيا العمالية ؟ » . وبناء عليه ، نستبقي كل ما يتلاءم مع الوضع الجديد . اما الحثالة التي

تكدست خلال السنوات والتي اورثتنا اياها حقبات العبودية والسيطرة الكريهة اللتين مارسهما ملاك الاراضي والراسماليون ، فاننا سوف نكنسها في الوقت ذاته الذي نكنس فيه الطبقة المستغلة نفسها وسائر اعداء البروليتاريا والفقراء .

الراسمالية تدمر الاسرة القديمة

الاسرة ، في شكلها الراهن هي ايضا وبكل بساطة من مخلفات الماضي . كانت في السابق وحدة صلبة متماسكة لا تنفرط ـ وهذه على كل حال مميزات الزواج الذي يباركه رجال الدين ـ كما انها كانت ضرورية لجميع اعضائها . فبدون الاسرة ، من يطعم ويكسو ويربي الاطفال ويرشدهم على دروب الحياة ؟ من هنا كان مصير اليتيم مصيرا حالكا في تلك الايام . الزوج ، في الاسرة المألوفة لدينا ، هو الذي يعمل ويعيل زوجته واطفاله . اما الزوجة ، فانها تعتني بالبيت وبتربية الاطفال (حسبما تفهم هي العناية والتربية). لكن هذا الشكل التقليدي للاسرة اخذ يتلاشى تدريجيا في كل البلدان التي سيطر عليها راس المال وحيث نمت المصانع وسواها من المنشآت التي تشغل اليد العاملة نموا فائق السرعة . واذا العادات والتقاليد العائلية آخذة بالتحول مع تحول الظروف المعيشية . والذي اسهم اكثر من غيره في

تغيير هذه العادات والتقاليد بطريقة جذرية هو بدون شك **انخراط النساء في العمل المأجور على نطاق واسع .** في السابق ، كان الرجل هو وحده معيل الاسرة . ولكن خلال الخمسين او الستين سنة الاخيرة ، اخذ النظام الراسمالي ـ في روسيا وقبلا في اقطار اخرى ـ يجبر النساء على الالتجاء للعمل المأجور خارج الاسرة ، خارج البيت .

٣٠ مليون امرأة تتحمل عبئا مزدوجا

لما كانت اجرة الرجل « المعيل » لم تعد كافية لسد حاجات الاسرة ، وجدت المرأة نفسها مجبرة على البحث عن عمل مأجور ، واضطرت الام الى طرق ابواب المصانع . وسنة بعد سنة كان يتضاعف يوميا عدد النساء من افراد الطبقة العاملة اللواتي غادرن منازلهن لتضخيم صفوف البروليتاريا الصناعية والعمل كمياومات وبائعات وسكرتيرات او كفسالات وخادمات . ويتبين من احصاء اجري في اوروبا واميركا قبل الحرب العالمية انه توجد حوالي ٦٠ مليون امرأة تعيش من عملها . وقد ارتفع هذا العدد خلال الحرب . نصف هذا العدد تقريبا يتكون من النساء المتزوجات . ولا يصعب تصور نوع الحياة العائلية التي تعيشها النساء العاملات . حياة تقضي منها الزوجة (والام) ٨ ساعات يوميا في العمل خارج البيت ، لا بل ١٠ ساعات اذا اضفنا

الوقت الذي تقضيه على الطريق ! فبديهي ان تهمل بيتها ، وان ينشأ اطفالها محرومين من رعاية الام ، مهملين ومعرضين لشتى الاخطار التي تحدق بهم في الازقة حيث يقضون معظم اوقاتهم .

الزوجة والام العاملة ينشف دمها وهي تجهد للاضطلاع بثلاث مهام في آن واحد : بذل ساعات العمل الضرورية ، مثلها مثل زوجها ، في مؤسسة صناعية او تجارية ، ثم تكرس ما تستطيعه من وقتها للعمل المنزلي ، واخيرا تصرف الباقي من الوقت لرعاية اطفالها . هكذا ينوء كاهل المرأة بالاعباء في ظل الراسمالية التي حولتها الى عامل مأجور دون ان تخفف عنها اعباء العمل المنزلي والامومة . فنجدها مسحوقة تحت عبء مثلث لا يطاق ، يستثير عندها احيانا صيحة الم مخنوقة او يحمل الدمع الى عينيها . لقد قدر دوما للمرأة ان تعتني بالآخرين . ولكن ما من فترة كانت فيها المرأة اسوأ حالا واتعس حظا مما هي عليه الان حيث ترزح ملايين النساء العاملات تحت نير الراسمالية . هذا في حين تشهد الصناعة فترة ازدهارها الكبرى ...

العمال يتعلمون الاستغناء عن الاسرة

مع زيادة انخراط النساء في العمل المأجور ، يزداد تفكك الاسرة . تعسا لها من حياة عائلية تلك التي يعمل فيها

الرجل وزوجته في قسمين مختلفين من مصنع واحد ! تعسا لها من حياة عائلية لا تملك الزوجة فيها الوقت الكافي لطبخ وجبة طعام لائقة لابنها ! وبئس الحياة العائلية عندما يتعذر فيها على الزوجة والزوج انتزاع بضعة دقائق يقضيانها مع اولادهما من اربعة وعشرين ساعة يستهلك معظمها في العمل الشاق !

كان الامر مختلفا كليا فيما مضى . فالام ، ربة المنزل ، تلازم منزلها وتعنى بشؤونه وشؤون اولادها الذين تغمرهم بعطفها ورعايتها . اما اليوم ، فالمرأة العاملة تهرول الى عملها عندما تزعق صفارات المصنع مع طلوع الفجر ، وتعود مهرولة في المساء ، عندما تزعق الصفارات ثانية ، لكي تهيىء الحساء للاسرة وتقوم بالاعباء المنزلية الملحة لتبدأ يومها الجديد بعد ساعات نوم قليلة . وهكذا دواليك . ان حياة المرأة العاملة المتزوجة كناية عن اشغال شاقة حقيقية ! فلا عجب اذن ، اذا بدأت اواصر الاسرة تتفكك في مثل هذا الوضع . فالقواعد الراسخة وعوامل التلاحم التي كانت في الماضي تجعل من الاسرة وحدة متماسكة آخذة بالتلاشي تدريجيا . **والاسرة لم تعد من الضروريات لافرادها او للدولة** . واشكال الاسرة القديمة باتت مجرد معوقات في وجه التطور .

ما هو سر تماسك الاسرة القديمة ؟ اولا ، كان الزوج ، او الاب ، هو معيل الاسرة . ثانيا ، كان المنزل من الضروريات

بالنسبة لكافة افراد الاسرة على حد سواء . ثالثا واخيرا ، كان الاهل يربون اولادهم فعلا ، ما الذي تبقى من كل ذلك اليوم ؟ لقد راينا كيف ان الزوج لم يعد هو المعيل الوحيد للاسرة . فزوجته التي تشتغل هي ايضا باتت مساوية له على هذا الصعيد . فهي تكسب معيشتها الان ، وتكسب احيانا معيشة اطفالها وزوجها . فلا يبقى من وظيفة الاسرة سوى تربية الاطفال واعالتهم في الصغر . يبدو ان الاسرة قادرة على الاستغناء عن هذه الوظيفة ايضا .

العمل المنزلي لم يعد ضرورة

في الماضي كانت المراة الفقيرة ، في المدينة والريف ، تقضي كل حياتها في كنف الاسرة ، تجهل كل ما يجري خلف عتبة دارها ، لا بل انها نادرا ما كانت تواقة الى المعرفة ، على كل حال . وكتعويض عن ذلك ، كانت المراة تؤدي في بيتها مهاما ضرورية ومتنوعة تنفع الاسرة والدولة في آن معا . كانت المراة تؤدي كافة المهام التي تؤديها حاليا اية امراة عاملة او فلاحة : تطبخ وتغسل وتنظف البيت وتكوي وترتق الثياب . ولكن لم يكن عملها يقتصر على ذلك ، فقد كانت تؤدي مهاما لم تعد تؤديها المراة المعاصرة كأن تغزل الصوف والكتان وتحيك الاجواخ والقماش وتصنع الجوارب واشرطة الزينة . كذلك كانت تصنع المخلل (الكبيس) وتدخن اللحوم

بالقدر الذي تسمح لهـا به مواردها الماديـــة ، وتستخرج المشروبات للبيت ، وتصب الشموع . ما كان اكثرها واجبات المراة في تلك الايام ! هكذا قضت امهاتنا وجداتنا حياتهن . وحتى في ايامنا هذه ، لا زلت تجد ، في بعض القرى النائية في اقاصي الريف بعيدا عن الطرقات والانهر الكبيرة ، جيوبا لا زالت تحتفظ بنمط الحياة القديم هذا بكل نقاوته ، حيث ربة المنزل تنوء تحت ثقل اعباء اعفيت منها المراة العاملة في المدن والمراكز الصناعية المكتظة بالسكان منذ زمن بعيد .

عمل المرأة الصناعي في البيت

على ايام جداتنا ، كان هذا العمل المنزلي عملا بالـــغ الاهمية والضرورة يتوقف عليه رفاه الاسرة كلها . وبالقدر الذي كانت تجتهد فيه ربة المنزل في اداء مهامها ، بقدر ما كانت حياة البيت منتظمة ومزدهرة . حتى الدولة افادت من نشاط المراة كربة منزل . فالمراة في تلك الايام لم تكن تكتفي بطبخ حساء البطاطا لها ولاسرتها ، وانما كانت تصنـــع عدة منتجات مثل الجوخ والخيوط والزبدة ، الخ .. وهذه كلها يمكن بيعها في السوق حيث تتحول الـى سلع ، اي الـى اشياء ذات قيمة .

صحيح ان عمل جداتنا وامهاتنا لم يكن يثمن بالمال . لكن جميع الرجال ، اكانوا فلاحين ام عمالا ، كانوا يبحثون

عن امراة « يداها من ذهب » ، كما يقول المثل . لان موارد الرجل وحده ، بدون « عمل المراة المنزلي » ، ليست كافية لبناء بيت زوجي مزدهر . في ذلك الحين ، كانت مصالح الامة والدولة تلتقي مع مصالح الزوج . فبقدر تمسك المراة بالاسرة بقدر انتاجها لشتى المنتجات من نسيج وجلد وصوف يباع الفائض منها في السوق ، فتسهم بذلك في ازدهار البلد الاقتصادي .

المراة المتزوجة والمصنع

ان الراسمالية قد غيرت كل نمط الحياة هذا . وكل ما كانت تنتجه الاسرة صارت تنتجه المشاغل والمصانع . وحلت الآلة محل انامل المراة الرشيقة . فاية ربة بيت تشغل نفسها الان في صب الشموع او غزل الصوف او نسج الجوخ في وقت يمكن فيه شراء كل هذه الحاجيات في الحانوت المجاور ؟ وهل شاهدتم صبية تصنع جواربها بنفسها ؟ اولا ، لا وقت لديها لذلك . فالوقت من ذهب . ومن منا يريد هدر المال بطريقة غير مجدية دون ان يجني منه اي ربح ؟ ان ربة المنزل ، التي هي امراة عاملة في الوقت ذاته ، تشتري جواربها في السوق بدلا من ان تضيع وقتها في صنعها . وقليلات هن النساء العاملات اللواتي يصرفن وقتا في تخليل الخيار او صنع المحفوظات في وقت يبيع فيه البقال المجاور

المخللات والمحفوظات على انواعها .

وعلى الرغم من ان المنتوج الذي يبيعه البقال قد يكون ادنى من حيث النوعية ، والمصنوعات الخارجة من المصنع ليست في جودة المحفوظات التي تصنعها ربة المنزل ، فان المراة العاملة لا تملك الوقت ولا القدرة على القيام بهذه العمليات كلها . انها عامل مأجور اولا باول ، يضطرها عملها المأجور الى اهمال عملها المنزلي . ومهما يكن من امر، فالاسرة في وضعها الراهن آخذة في الانعتاق تدريجيا من مختلف الاعباء المنزلية ـ هذه الاعباء التي كانت جداتنا لا تتخيلن الاسرة خالية منها . وما كانت تنتجه الاسرة في الامس بات ينتجه الان الجهد المشترك للعمال والعاملات في المصانع والمشاغل .

نهاية العمل المنزلي الفردي

ان الاسرة باتت تستهلك الان ولا تنتج . والاعباء الرئيسية التي تقوم بها ربة المنزل هي : شؤون النظافة (مسح الارض ونفض الغبار ، والتدفئة ، والعناية بالاضاءة، الخ .) والطبخ (تحضير الغذاء والعشاء) والغسيل والاعتناء ببياض وثياب الاسرة (رتق الثياب وما شابه) .

وهذه اعباء مرهقة مؤلمة تستغرق كل وقت وتستنفذ كل قوة المراة العاملة المضطرة الى بذل ساعات عمل طويلة في المصنع . ولكن الاكيد ان المهام التي كانت جداتنا تقوم بها

كانت اكثر تنوعا . وبالاضافة لذلك ، كان عمل جداتنا يتميز بميزة بات يفتقدها العمل المنزلي للنساء العاملات ؛ وهو ان النساء فقدن فائدتهن بالنسبة للدولة (من منظار مساهمتهن في الاقتصاد الوطني) ؛ ذلك ان العمل الذي يقمن به لا ينتج اي قيم جديدة ولا يسهم في ازدهار البلد .

عبثا تقضي المراة العاملة يومها باكمله من الصباح للمساء وهي تنظف البيت وتغسل وتكوي الثياب هادرة كل حياتها في جهود لا متناهية لرتق الثياب المهترئة او لتحضير الطعام ؛ حسب الموارد المتواضعة المتوافرة لديها ؛ دون ان ينتهي يوم عملها هذا الى اي نتيجة مادية . لانها لا تنتج ، بايديها التي تعمل بلا كلل ، اي شيء يمكن اعتباره سلعة في السوق التجاري . وحتى لو عاشت المراة العاملة الف سنة ، فان الامر لن يتغير بالنسبة لها . سيبقى ثمة طبقة من الغبار يجب نفضها عن الرف ؛ وسيبقى زوجها يأتي الى البيت جائعا عند المساء ويبقى اطفالها يحملون الوحل على احذيتهم . وهكذا فمع الايام يصبح عمل ربة المنزل اكثر فاكثر تفاهة واقل واقل انتاجا .

ولادة العمل المنزلي الجماعي

ان المنزل الافرادي قد جاوز حده . وها ان العمل الجماعي يحل محله تدريجيا . وان المراة العاملة سوف

تدرك ، عاجلا ام آجلا ، انها ليست بحاجة لان تعتني بمنزلها بنفسها . ففي مجتمع الغد ، في المجتمع الشيوعي، سوف يقوم بهذا العمل فئة متخصصة من النساء لا يقمن بعمل سواه . ان نساء الاغنياء قد تحررت منذ سنوات من هذه الاعباء السقيمة المرهقة . فلماذا يجب على المراة العاملة ان تستمر في ادائها ؟ في روسيا السوفييتية ، يجب ان تحاط حياة المراة العاملة بنفس الجو من الراحة والاشراق والصحة والجمال كالذي لا يزال يحيط ، حتى الآن بحياة نساء الطبقات الغنية . فلا تضطر المراة في المجتمع الشيوعي الى قضاء ساعات فراغها ـ النادرة مع الاسف ـ في الطبخ **لان المجتمع الشيوعي سوف يوفر المطاعم العامة والمطابخ المركزية التي يحق للجميع ارتيادها .**

هذه المؤسسات تتكاثر في كافة الاقطار ، حتى تلك التي لا زال يسيطر عليها النظام الراسمالي . والواقع انه طوال نصف القرن الاخير ، كان عدد المقاهي والمطاعم في جميع مدن اوروبا يتزايد يوما بعد يوم ، فاذا بها تنبت وتتكاثر كالفطر بعد مطر الخريف . هناك ظل ذوو الجيوب المحشوة بالمال وحدهم القادرين على ارتياد مثل هذه المطاعم . اما في المجتمع الشيوعي فيصبح بمقدور اي كان ان يتناول وجبة الطعام في المطاعم والمطابخ المركزية . وما ينطبق على الاكل ينطبق على الغسيل وغيره من الاعباء . لن تكون المراة العاملة مضطرة لان تفرق في مستنقع من القذارة او ان تفقد بصرها من جراء رتق

الجوارب او اصلاح البياضات . لا بل انها سوف تحمل هذه الحاجيات الى **المغاسل المركزية** كل اسبوع ؛ وتخرجها ايضا كل اسبوع مغسولة ومكوية . هذا عبء اضافي سوف يزاح عن كاهل المرأة العاملة . كذلك فان المحلات الخاصة لرتق واصلاح الثياب سوف تسمح للمرأة العاملة بأن تقضي امسياتها في القراءات المفيدة والاستجمام الصحي بدلا من ان تقضيها في الكدح المضني . لذلك فان الاعباء الاربعة المذكورة التي لا تزال ترهق نساءنا سوف تزول في ظل النظام الشيوعي الظافر . ولا شك في ان المرأة العاملة لن تذرف دمعة واحدة على زوالها . وهكذا يكون المجتمع الشيوعي قد حطم النير المنزلي الرازح على المرأة لكي يجعل حياتها اغنى واكمل واسعد واكثر امتلاء بالحرية .

تربية الاطفال في ظل الراسمالية

ما الذي يبقى من الاسرة بعد زوال اعباء العمل المنزلي الفردي ؟ تبقى تربية الاطفال . هنا ايضا تهب دولة الرفاق الكادحين لنجدة الاسرة . فيحل المجتمع تدريجيا محل الوالدين . **ان تربية الاطفال في ظل الراسمالية لم تعد مهمة يضطلع بها الوالدان** . فالاطفال يتلقون تعليمهم في المدرسة . وما ان يبلغ الطفل سن الدراسة حتى يبدا اهله يتنفسون بحرية اكبر . فنمو طفلهم الذهني لم يعد امرا يعنيهم . الا ان

هذا لا ينهي طبعا مسؤوليات الاسرة تجاه الطفل . تبقى مهمة اطعامه وتأمين كسوته وتحويله الى عامل ماهر وتزويده قدرا على الاعتماد على نفسه . عندما تنتهي الحاجة . وعلى اصالة اهله في شيخوختهم .

غير انه نادرا ما استطاعت اسرة عمالية ان تضطلع بهذه المسؤوليات تجاه اولادها . فأجور الاهل منخفضة لا تسمح باطعام الاولاد حتى الشبع . ونذرة اوقات الفراغ لا تمكن الاهل من بذل الوقت والاهتمام الكافيين لتربية الجيل الطالع . فكانت الاسرة مضطرة الى ان تتولى تربية اولادها بنفسها . ولكن . هل كانت تربيهم فعلا ؟ الواقع ان الشارع هو الذي يربي اطفال البروليتاريا . وهؤلاء يجهلون راحة الحياة العائلية وافراحها : تلك التي كنا نحن ننعم بها في كنف آبائنا وامهاتنا .

ثم ان انخفاض اجور الاهل وانعدام الضمانات . لا بل المجاعة : غالبا ما تدفع بابن البروليتاري الى ان يصبح بدوره عاملا مستقلا قبل بلوغه سن العاشرة . وما ان يبدأ الولد (سيان اكان صبيا أم بنتا) باعالة نفسه حتى يعتبر انه بات سيد نفسه الى درجة يبطل معها مفعول كلمات ونصائح اهله عليه ؛ وتتقلص سلطتهم وتنتهي طاعته لهم .

مع اضمحلال اعباء الاسرة ؛ الواحد تلو الآخر ؛ يحل المجتمع محل الاهل في تنفيذ واجبات الاعالة والتربية . والواقع ان الاطفال غالبا ما شكلوا ؛ في ظل الراسمالية ؛ عبئا

ثقيلا لا يطاق على الاسرة البروليتارية .

الطفل والدولة الشيوعية

في هذا المجال ايضا يهب المجتمع الشيوعي لمساعدة الاهل . لقد خطت روسيا السوفييتية ـ بفضل جهود مفوضيتي التربية العامة والشؤون الاجتماعية ـ خطوات هامة وحققت المنجزات العديدة في مجال التخفيف من أعباء الاسرة ومجال تربية واعالة الاطفال . توجد بيوت للرضعاء وحضانات نهارية ورياض ، ومخيمات للاطفال والاهل ، ومستوصفات، ومنتجعات صحية للاطفال المرضى ، ومطاعم، وطعام مجاني في المدارس ، وكتب مدرسية مجانية ، وملابس دافئة للشتاء واحذية للاطفال في المؤسسات التعليمية . الا تكفي كل هذه للتدليل على ان الطفل لم يعد عبئا على الاسرة وانما بات المجتمع هو الذي يتولى رعايته ؟

كان اهتمام الاهل بأطفالهم يشمل ثلاثة مجالات : ١) الاعتناء بالرضيع ، ٢) تربية الطفل ، ٣) تعليمه . اما بالنسبة لتعليم الاطفال في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات ، فان هذا واجبا ملقى على عاتق الدولة ، حتى في المجتمع الراسمالي . ان تراكم الاعباء على الطبقة العاملة ونوعية ظروف معيشتها قد فرضا على المجتمع الراسمالي انشاء الملاعب والحضانات والرياض للاطفال . ومع تنامي

وعي العمال لحقوقهم وتوطد تنظيماتهم في دولة معينة ، تنامى اهتمام المجتمع بأعفاء الاسرة من أعباء رعاية الاطفال .

غير ان المجتمع البرجوازي كان يخاف التمادي في تلبية مصالح الطبقة العاملة كيلا يسهم في تقويض اركان الاسرة نفسها . فالرأسماليون أنفسهم يدركون ان الاسرة القديمة؛ حيث المرأة مستعبدة للرجل المسؤول عن اعالة الاسرة ورفاهها، هي أفضل سلاح لخنق تطلع البروليتاريا نحو الحرية، واخماد الروح الثورية عند العمال والعاملات على حد سواء . فالانشغال بأمور الاسرة تفقد العامل عزيمته وتجعله يساوم مع راس المال . وأي شيء لا يفعله أب او أم عند رؤية اطفاله يتضورون جوعا ؟

المجتمع الرأسمالي عاجز عن تحويل تربية الناشئة الى وظيفة اجتماعية فعلية ؛ الى وظيفة من الوظائف التي تضطلع بها الدولة . أما المجتمع الشيوعي ، في المقابل ، فانه يعتبر ان التربية الاجتماعية للجيل الطالع هي أساس قوانينه واعرافه وحجر الزاوية في البنيان الجديد . ان انسان مجتمع الغد لن يولد بالتأكيد من أسرة الامس ، التافهة الضيقة ، بما تنطوي عليه من نزاع بين الوالدين واهتمامها الاناني بأولادهما دون سائر الاولاد . ان انساننا الجديد ، في المجتمع الجديد، يولد في رحم التنظيمات الاشتراكية كالمنتزهات والحدائق والرياض والمخيمات وغيرها من المؤسسات حيث يقضي الطفل القسط الاوفر من وقته ويتولى مربون كفؤون تحويله الى

شيوعي يعي عظمة الشعارات المقدسة : شعارات **التضامن والروح الرفاقية والتعاون المتبادل والاخلاص للحياة الجماعية .**

تامين معيشة الام

مع زوال اعباء التربية والتعليم ، وخاصة بعد اعفاء الاسرة من القسط الاوفر من الاعباء المادية الناجمة عن انجاب الاطفال ، لا يبقى من واجبات الاسرة تجاه اطفالها سوى رعاية الطفل الرضيع عندما يكون بحاجة لعناية الام وهو في طور تعلم المشي والتعلق بثياب أمه . لن يثقل كاهل الام الصبية بعد الآن بعبء رعاية أطفالها ! فالدولة العمالية تعتبر انه من واجبها أن تؤمن المعيشة للام اكانت متزوجة زواجا شرعيا أم لا ، ما دامت هي التي ترضع الطفل . وسوف تنشيء دور الامومة في كل مكان . وتبني الحضانات النهارية في كل المدن والقرى . فتسمح بذلك للمراة بان تخدم الدولة بطريقة مجدية وان تمارس دورها كأم في آن واحد .

لكي لا يكون الزواج قيدا

لنطمئن الامهات العاملات : ان المجتمع الشيوعي لا يرمي الى انتزاع الطفل من حضن امه ولا الرضيع من على ثدييها .

ولا هو ينوي تدمير الاسرة بواسطة العنف . تقوا من اننا لسنا نضمر ايا من هذه النوايا ! ليست هذه اهداف المجتمع الشيوعي .

ولكن ما الذي نشاهده اليوم ؟ نشاهد الاسرة القديمة آخذة بالانحلال . وقد اخذت تتحرر تدريجيا من كافة الاعباء المنزلية التي كانت بالامس تشكل دعائم تماسك الاسرة كوحدة اجتماعية . وماذا عن الاطفال ؟ ان الاهل البروليتاريين ليسوا قادرين اصلا على الاعتناء بهم ولا على تأمين معيشتهم وتعليمهم . وهذا وضع يعاني منه الاهل والابناء على حد سواء .

لذا يخاطب المجتمع الشيوعي العمال والعاملات ويقول لهم : « لا زلتم في ربيع العمر ، وانتم تحبون بعضكم بعضا . ان السعادة حق للجميع . فعيشوا حياتكم ولا تنفروا من السعادة . ولا تخشوا الزواج مع انه كان قيدا على العامل والعاملة ، في المجتمع الراسمالي . والاهم من كل ذلك ان لا تترددوا ، وانتم شبان ممتلئون صحة وعافية ، في ان تمنحوا الوطن عمالا واطفالا مواطنين جدد . فان مجتمع العمال بحاجة الى قوى عاملة جديدة ، وهو يرحب بمجيء كل طفل جديد الى العالم . ولا حاجة لان تقلقوا على مستقبل اطفالكم . فانهم لن يعرفوا البرد والجوع ولا البؤس والاعمال ، كما كان الحال في المجتمع الراسمالي . فما ان يولد الطفل ، حتى يؤمن المجتمع الشيوعي ، حتى تؤمن الدولة العمالية للام وطفلها ما يحتاجانه من غذاء وعناية . ان الوطن الشيوعي

سوف يتولى اطعام الطفل وتربيته وتعليمه . لكنه لن ينتزع الطفل من كنف اهله ، بأي حال من الاحوال ، اذا كانوا يريدون الاسهام في تربية اولادهم بانفسهم . ان المجتمع الشيوعي سوف يضطلع بكامل واجباته في مجال تربية الاطفال . الا انه لن يحرم احدا من افراح الابوة او حنان الامومة اذا ثبت انه قادر على فهمها وتقديرها قدرها الصحيح . » فهل يمكن اعتبار ذلك تدميرا للاسرة بواسطة العنف ؟ وهل يمكن اعتباره انتزاعا قسريا للطفل من حضن امه ؟

الاسرة : اتحاد عاطفي ـ رفاقي

مهما يكن من امر ، فلا مفر من الاعتراف بالحقيقة القائلة ان الاسرة من النمط القديم قد تجاوزها الزمن . والمسؤول عن ذلك ليس المجتمع الشيوعي، وانما هو تغير ظروف الحياة. **لم تعد الاسرة ضرورية للدولة كما كانت بالامس** . لا بل انها اسوأ من مجرد مؤسسة عديمة الجدوى ، لانها تمنع النساء العاملات من القيام بعملهن بمزيد من الانتاجية والجد. ولم تعد الاسرة ضرورية لافرادها انفسهم ، لان مهام تربية الاطفال ، وقد كانت بالامس ملقاة على عاتق الاسرة ، اخذت تنتقل الآن الى عاتق المجموع . ولكن على انقاض الاسرة السابقة سوف يبنى شكل للعلاقات بين الرجل والمرأة جديد

كليا : اتحاد عاطفي ـ رفاقي يقوم على المساواة بين مواطنين من ابناء المجتمع الشيوعي في ممارسة حريتهما واستقلالهما وعملهما .

لقد انتهى عهد عبودية المراة المنزلية ! انتهى عهد انعدام المساواة داخل الاسرة ! وانقضى زمن كانت المراة يتهددها فيه الخوف من ان تبقى بدون معيل ، هي واطفالها ، اذا ما هجرها زوجها ، فالمراة في المجتمع الشيوعي لن تعتمد بعد الآن على زوجها ، وانما سوف تعتمد على عملها . ولن يعيلها زوجها ، وانما ساعداها القويان . ويزول القلق على مصير الاطفال . لان الدولة العمالية ستكون مسؤولة عنهم . ثم ان الزواج سوف يطهَّر من كافة مقوماته المادية واثقاله المالية التي كانت تشكل لطخة عار في الحياة العائلية حتى الآن . فمن الآن وصاعدا سوف يتحول الزواج الى اتحاد سام بين نفسين متحابين ، كل منهما يثق بالآخر ـ اتحاد يوفر لكل عامل وعاملة الحد الاقصى من السعادة والرضى . هذا ما يستحقه مواطنون يعرفون انفسهم ويعون البيئة المحيطة بهم . وهذا الاتحاد الحر، المتين بفضل الروح الرفاقية التي تسوده، **هو البديل عن العبودية العائلية الماضية الذي يقدمه مجتمع الغد الشيوعي الى الرجال والنساء على حد سواء .**

وما ان تتفير ظروف العمل وتتزايد الضمانات المادية المتوفرة للعاملات ، وبعد ان يزول الزواج الديني ـ الذي كان يسمى « زواجا لا ينفصم » ليتضح انه خدعة لا غير ـ

ويحل محله اتحاد حر نزيه بين الرجال والنساء ، بوصفهم عشاقا ورفاقا في آن معا ، فان كارثة اضافية مخزية تبدأ بالاضمحلال، ويزول شر مخيف كان يشكل لطخة عار في جبين الانسانية جمعاء ، غير انه ينوء بكل ثقله على المراة الكادحة الجائعة بشكل خاص ـ عنينا به **البغاء** .

الغاء البغاء

ان البغاء هو ابن النظام الاقتصادي السائد وابن مؤسسة الملكية الفردية . وما ان تلغى هذه المؤسسة ، حتى تزول تجارة النساء من تلقاء نفسها .

من هنا ، فلا يخيفن المراة العاملة ان الاسرة ، في شكلها الراهن ، سائرة الى زوال ، لا محالة . فالاحرى بها ان تحيي انبلاج فجر مجتمع جديد ، يحرر المراة من العبودية المنزلية ، ويخفف عنها اعباء الامومة ، ويمهد السبيل اخيرا امام الغاء البغاء ـ ابشع النكبات التي بليت بها النساء .

ان المراة المدعوة للنضال من اجل القضية الكبرى ـ قضية تحرر البروليتاريا ـ ينبغي أن تدرك ان الدولةالجديدة لن تقبل بالانقسامات السخيفة من النمط الذي كان سائدا من قبل : « هؤلاء اطفالي انا . واولئك اطفالك انت او اطفال الجيران . وانا لست معنية بهم . تكفيني مصائبي » . ان الام العاملة ، الواعية لدورها الاجتماعي ، سوف ترتفع من

الآن فصاعدا الى مستوى لا فارق فيه بين ما هو لها وما هو ليس لها ، فتدرك ان الاطفال هم **اطفالنا نحن** ، اطفال الدولة الشيوعية ، وانهم ملك مشترك لجميع الكادحين .

تحقيق المساواة الاجتماعية بين الرجال والنساء

لا بد للدولة العمالية من ان توفر شكلا جديدا للعلاقات بين الجنسين . ان العاطفة الانانية الضيقة التي تكنها الام لاطفالها يجب ان تتسع لتشمل جميع اطفال الاسرة البروليتارية الواسعة . وعلى انقاض « الزواج الذي لا ينفصم » ، القائم على استعباد المرأة ، سوف يقوم الاتحاد الحر بين الرجل والمرأة ، يعززه الحب والاحترام المتبادلان بين مواطنين من مواطني الدولة العمالية ، متساويين في الحقوق والواجبات . ومكان الاسرة الفردية الانانية ، سوف تقوم اسرة العمال الكبيرة الشاملة حيث الشغيلة ، رجالا ونساء ، هم فوق كل شيء اخوة ورفاق .

هكذا ستكون العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع الغد الشيوعي . وهي علاقة ستضمن للانسانية كافة المباهج التي يوفرها ما يسمى « الحب الحر » ، عبر تحقيق المساواة الاجتماعية الحقيقية بين المرأة والرجل ، وهي مباهج يعجز عن توفيرها المجتمع التجاري في ظل الراسمالية .

افسحوا المجال امام الاطفال المترعرعين ، المتفجرين

صحة وعافية !

افسحوا المجال امام شبيبة ممتلئة حيوية ونشاطا، متعلقة بالحياة ومباهجها ، حرة في مشاعرها وعواطفها !

تلك هي شعارات المجتمع الشيوعي . فباسم المساواة والحرية والحب نهيب بكافة العاملات والعمال والفلاحات والفلاحين ان يضطلعوا ، بجراة وايمان ، بمهمة اعادة بناء المجتمع البشري باتجاه مزيد من الكمال والعدالة ؛ وزيادة قدرته على ان يؤمن للافراد السعادة التي يستحقون. انراية الثورة الاجتماعية الحمراء ، التي تنطلق من روسيا لترفرف على بلدان اخرى في العالم ، ايذانا لنا باقتراب « الجنة على الارض » التي تحلم بها البشرية منذ قرون .

تاريخ حركة العاملات الاشتراكية في اوروبا : اساليب عملها واشكالها التنظيمية

مقدمـة

هذا الكراس ليس جديدا . انه اعادة طبـع لمقـالات نشرت قبل الحرب . غير ان المسألة التنظيمية المطروحة على **مؤتمر النساء العاملات** تضع علـى جدول اعمـال نشاطنا الحزبي نقطة تتعلق بالتحريض بين جماهير النساء العاملات لاجتذابهن الى صفوف الحزب ، وحشد قوى جديدة للاسهام في بناء روسيا الشيوعية .

اننا نشكو نقصا فادحا في المواد التي تساعد رفيقاتنا الحزبيات المعنيات على تأسيس لجنة التحريض والدعاية بين العاملات ، وتمدهم بالمعلومات اللازمة حول تاريخ الحركة

الاشتراكية للمرأة العاملة ، وحول الوسائل التنظيمية التي اعتمدتها منظمات البروليتاريا النسائية في البلدان الاخرى والانجازات التي حققتها . من هنا، فان افتقارنا الى الادبيات الحزبية حول هذا الموضوع يدفعني الى اعادة نشر مقالاتي السابقة، على استعجال ، دون أن تتسنى لي اعادة صياغتها. ولو اتيحت لي فرصة الكتابة الآن حول الوقائع ذاتها، لكنت قيمتها على نحو مختلف . فالحرب والثورة العالمية قد ادخلتا تعديلات أساسية على كافة الحركات العمالية الشيوعية ، من حيث طبيعتها وشكلها . فالنموذج الالماني في العمل الحزبي، المعد فقط لفترة النشاط البرلماني السلمي ، لم يعد نموذجا نقتدي به . فالنضال الثوري طرح قضايا ووسائل نضال جديدة . والحرب والثورة زعزعتا ما كان يبدو على أنه أرسخ اركان حياتنا . كما وان وضع المرأة قد تغير بشكل ملموس .

قبل الحرب ، كانت عملية انخراط النساء في الاقتصاد الوطني تجري بوتيرة ابطأ بكثير من وتيرة السنوات الاربع والنصف الاخيرة التي شهدت تطورا اقتصاديا محموما ونموا سريعا للعمل النسائي في مجمل القطاعات الصناعية . والاسرة القديمة كانت هي ايضا تبدو راسخة لا تتزعزع . وقد اضطر الحزب الى النضال ضد هذا النسق في الحياة ، وضد التقاليد المرتبطة به ، في كل مرة اراد فيها اجتذاب المرأة العاملة الى معمعة الصراع الطبقي . فلم ينظر الى تلاشي العمل المنزلي والى تعميم التعليم الرسمي للاطفال بوصفهما

من القضايا الناضجة الحية في حياتنا اليومية ، وانما ننظر الى هذا وذاك كـ «اتجاه تاريخي» ، كعملية سوف تستغرق وقتا طويلا . والحقيقة ان النساء العاملات اشد احساسا بمصالحهن في المجالين الاقتصادي ـ انعدام المساواة بين اجور الرجال واجور النساء ـ والسياسي ـ حرمان النساء من حق الاقتراع واعتبارهن مواطنات من الدرجة الثانية .

ان لا مساواة المراة ، في المجالين الاقتصادي والسياسي، وعبوديتها للاسرة وللعمل المنزلي ، قد ولدتا عازلا نفسانيا بين العمال والعاملات ، فكانتا التربة التي نمت عليها التنظيمات الخاصة بالعاملات في موازاة الاحزاب الاشتراكية العمالية العامة في مختلف الاقطار ، على شكل جمعيات او اتحادات او نواد للعاملات . ولكن بالقدر الذي تكثف فيه نشاط الاحزاب الاشتراكية الدعاوي بين العاملات ، تسارعت عملية اضمحلال هذه التنظيمات العمالية النسائية .

غير ان التغير الجذري الذي طرأ على كافة نواحي حياة الطبقة العاملة النسائية ، البيتية منها والعائلية ، وتحقيق مساواتها القانونية مع الرجل ، هما العاملان الكفيلان بتكنيس ما تبقى من حواجز بين المراة العاملة وبين اطلاق كامل قواها للمساهمة بحرية في الصراع الطبقي .

ان الحرب قد ولدت قطيعة جذرية في وضع المراة الاجتماعي . ويبقى على الثورة ان تدفع هذه القطيعة الى نهايتها ، وتكمل ما بداته الحرب . فالحرب حملت المرضعات

المحترفات الى جبهة القتال ، مما اضطر تسعين في المئة من النساء الى الاعتناء بأطفالهن بأنفسهن . فبرزت مشكلة صعبة : ما العمل بأطفال ملايين النساء اللواتي يقضين القسم الاكبر من يومهن في صنع الامدادات العسكرية من قنابل يدوية ومتفجرات وذخيرة ؟ هكذا طرحت المسألة ، ليس بوصفها مسألة نظرية ولا بوصفها مشروعا يتحقق في المستقبل البعيد، وانما بما هي اجراء عملي محض : ضمان الدولة للامومة والطفولة . فقد اضطرت الحكومات الطبقية الراسمالية الى الاهتمام بمصير «جنود الغد» ، الامر الذي دفعها رغما عنها، الى تحميل الدولة مسؤولية رعاية الاطفال .

كذلك فان ذهاب الخطيب والزوج الى جبهة القتال، وخوف المراة على مصير من تحب ، كانا السبب الطبيعي لتزايد عدد الاطفال المولودين خارج اطار الزواج . هنا ايضا اضطرت الدولة البرجوازية ـ الراسمالية ، تحت ضغط الحرب ، الى ان تسدد لنفسها ضربة جديدة ، وان تتعدى على اقدس مؤسساتها ـ الزواج الشرعي . وحرصا منها على رفاه الجنود ، اضطرت الى ان تساوي ، في القانون ، بين الامهات والاطفال الشرعيين وغير الشرعيين . وهذا ما دفع المانيا وفرنسا وانكلترا الى اتخاذ هذا الاجراء الثوري .

والواقع ان الحرب لم تزعزع اركان الزواج الكنسي الذي لا ينفصم وحسب ، وانما تعدت ايضا على ركن آخر من اركان الاسرة ـ العمل المنزلي . فارتفاع الاسعار ،

واضطرار النساء الى الوقوف في صفوف طويلة مرهقة للحصول على المواد الغذائية المقننة . دفعا النساء الى الاستغناء عن الوحدة المنزلية الفردية ؛ وتفضيل التسهيلات الجماعية .

وجاءت الثورة العمالية الكبرى لتحرر المراة من عبوديتها الاجتماعية ، كما كانت معروفة آنذاك . فشاركت العاملات والفلاحات في النضال التحرري العظيم على قدم المساواة مع الرجال . وانهار تقسيم العمل السابق الذي كان يكبل النساء عندما تزعزع ركنا المجتمع القديم : الملكية الفردية والسلطة الطبقية . ان اوار انتفاضة البروليتاريا العالمية قد انتزع المراة من بين اواني المطبخ ؛ ليدفع بها الى المتاريس حيث تخاض معركة الحرية . فلم تعد المراة تشعر بالاطمئنان في منزلها ، بين الحاجيات العائلية المألوفة ؛ والاواني المنزلية واسرّة الاطفال ، بينما الرصاص يزار في الخارج . وانصتت بتعجب الى النداء الذي اطلقه العمال المناضلون : « الى السلاح ، ايها الرفاق ! يا كل من يقدس الحرية . يا من فطر على كره قيود العبودية والحرمان من الحقوق المدنية ! الى السلاح ، يا عمال ! الى السلاح ، يا عاملات ! »

ان الثورة قد عودت العاملات على الحركات الجماهيرية الكبيرة ، على النضال من اجل تحقيق الشيوعية . وحققت الثورة في روسيا المساواة الكاملة للمراة في الحقوق السياسية

والمواطنية . ونفذت مطالب العاملات في كافة الاقطار : **العمل المتساوي للأجر المتساوي** . ووفرت للنساء فرص الانعتاق من عبودية الأسرة . وتخلصت الثورة من الاشكال السابقة للتنظيمات العمالية التي فرضتها فترة الحكم البرلماني السلمي . فالذي بات يفصلنا الآن عن عهد **الاممية الثانية** ليس اربع سنوات وحسب ، وانما زحلة جيولوجية كاملة في مجال العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

من هذا المنظار ، اعتبر ان الزمن قد تخطى عددا من المقالات المنشورة في هذا الكرّاس . لكن المسالة الرئيسية لم يتخطاها الزمن . لا بل انها لا تزال بالغة الحيوية والالحاح . وهي تشكل الخيط الذي يشد مقالاتي بعضها الى بعض : ضرورة العمل الخاص في صفوف البروليتاريا النسائية ، المتمتع بحد من الاستقلال الذاتي داخل الحزب ، وتاسيس الاجهزة الحزبية الضرورية للاضطلاع بهذا العمل من لجان ومكاتب نسائية .

ومهما بلغ عمق التغييرات التي جاءت بها الحرب والثورة الى حياة بلدنا واقتصادياته ، ومهما تكن ضخامة الخطوات التي قطعتها روسيا السوفييتية في سيرها على طريق الشيوعية ، فالارث الراسمالي لم تجر تصفيته نهائيا بعد . فان الظروف المعيشية ، ونسق حياة الاسرة العمالية ، ومجمل التقاليد التي تكبل المراة ، وعبودية العمل المنزلي ـ كل هذه لم تتلاش بعد . وبالقدر الذي تستمر فيه المعوقات

التي منعت نساء الطبقة العاملة ، قبل الحرب ، من المساهمة النشيطة في حركة تحرر البروليتاريا ، وبالقدر الذي لا يزال الحزب مضطرا الى الاخذ بالاعتبار تخلف المرأة السياسي ، وعبودية المرأة العاملة لاسرتها ، فان ضرورة العمل المكثف في صفوف البروليتاريا النسائية ، بمساعدة الاجهزة الحزبية المتخصصة ، لا تزال ضرورة ملحة كما كانت من قبل .

وما من شك في ان انشاء لجنة للتحريض والدعاية بين العاملات ، في العاصمة والاطراف ، كفيل بالاسراع في تنفيذ هذه المهمة . في الماضي ، كانت فكرة العمل المتخصص داخل الحزب ، التي ادعو اليها منذ عام ١٩٠٦ ، تلقى المعارضة حتى بين رفاقي الحزبيين . اما الآن ، وبعد القرار الذي اتخذه **مؤتمر النساء العاملات لعموم روسيا** ، والذي اقرّه الحزب ، لم يعد امامنا الا وضع هذا الامر موضع التنفيذ . ان حزبنا يمنع قيام حركة نسائية مستقلة او تأسيس الاتحادات والجمعيات الخاصة بالنساء . لكنه لم يتنكر ، في وقت من الاوقات ، لفاعلية تقسيم العمل داخل الحزب وقيام اجهزة حزبية متخصصة من شأنها مضاعفة اعداده او تعميق نفوذه بين الجماهير .

ان روسيا السوفييتية تحتاج الآن لقوى جديدة من اجل المهمة المزدوجة : النضال ضد العدو وبناء المجتمع الشيوعي . وان مهمة اللجنة الحزبية للتحريض والدعاية بين العاملات هي بالضبط مهمة اصطفاء وتربية هذه القوى من

بين صفوف الملايين من النساء العاملات .

واني لارجو أن يفيد هـذا الكرّاس في تقديـم بعض الارشاد والتوجيه للذين ينوون تكريس جهودهم للعمل في صفوف البروليتاريا النسائية . كما أرجو أن يمدهم باليقين من انهم ، في اضطلاعهم بهذا العمل الذي لا يدر أحيانا غير التعب والشقاء ، يخدمون ليس فكرة « تخصص » النساء او العمل النسائي بمعناه الضيق ، وانما مجمل مهمة بناء حزب عمالي عالمي موحد ومنيع ، يبني عالما مشعا جديدا ـ عالم الشيوعية الاممية .

ا. كولونتاي

موسكو، الاول من ديسمبر ١٩١٨

تطور الحركة الاشتراكية للنساء العاملات

قد يظن المرء للوهلة الاولى بأنه ليس ثمة من فكرة ادق وأوضح من فكرة « الحركة الاشتراكية النسائية » . غير انها في الواقع تثير الكثير من الاستغراب ، وكثيرا ما نسمع عبارات التعجب والتساؤل : ما هي الحركة العمالية النسائية؟ ما هي مهامها واهدافها ؟ لماذا لا تندمج بالحركة العامة للطبقة العاملة ؟ لماذا لا تذوب فيها ، ما دام الاشتراكيون الديمقراطيون ينكرون وجود مسألة نسائية مستقلة ؟ اليست مثل هذه الحركة ترسبا من ترسبات الحركة النسوية (١) البرجوازية ؟

---

(١) راجع المقدمة التي تعرّف بالكسندرا كولونتاي (المترجم)

ولا يقتصر طرح مثل هذه الاسئلة على روسيا وحدها . فهي تتردد في كل الاقطار تقريبا ، ويمكن سماعها في كافة اللغات . والاعجب من ذلك ان المواقف الاشد تصلبا في انكارها لضرورة العمل المستقل في صفوف البروليتاريا النسائية تصدر في الاماكن حيث الحركة العمالية النسائية اكثر تخلفا ، حيث العاملات المنظمات يشكلن نسبة ضئيلة في الاحزاب والنقابات . بمثل هذه الطريقة التبسيطية يجري حل عقدة المسألة النسائية والمسألة الاجتماعية عامة .

ان حركة النساء العاملات ولدت فعلا في رحم المجتمع الراسمالي . غير انها ظلت ، طوال فترة طويلة ، تتعثر في تقدمها، وتتردد في اختيار وسائل العمل . والواقع ان الحركة العمالية النسائية تتخذ اشكالا بالغة التنوع والتعدد . وتختلف هذه الاشكال بين بلد وآخر ، وهي تتكيف مع الظروف الخاصة بكل بلد ، ومع طابع حركته العمالية . ولكن مع الوقت نمت هيئات حزبية متخصصة بالحركة النسائية الاشتراكية ، خاصة حيث كانت الحركة الاشتراكية الديمقراطية قوية .

يصعب ان نلقى الآن مناضلا اشتراكيا يجادل حول ضرورة او عدم ضرورة وجود تنظيم واسع للبروليتاريا النسائية . هذه مسالة باتت محسومة . والحال ان الاشتراكيين الديمقراطيين في كافة الاقطار باتوا يفاخرون بضخامة « جيشهم النسائي » ، وهم يأخذون بعين الاعتبار

تلك القوة المتسارعة النمو في معرض حساب فرص نجاح وانتصار الصراع الطبقي . نتيجة لذلك ، فاذا كان ثمة من خلاف قد ينشب ، فهو ليس حول جوهر المسألة ، وانما هو فقط حول وسائل واساليب التحريض والنضال الواجب اتباعها في أوساط النصف النسائي من الطبقة العاملة . ومهما يكن من أمر ، فان الذين انتصروا في النقاش ، في كافة الاقطار ، هم المدافعون عن الاسلوب الالماني القائم على دمج النصفين النسائي والرجالي من الطبقة في التنظيم الحزبي الواحد ، مع الاحتفاظ **باستقلالية** التحريض بين نساء الطبقة العاملة .

ان الحركة النسائية الاشتراكية لا تزال حركة فتية لم يمض على قيامها اكثر من عشرين سنة .

صحيح ان النساء كن فيما مضى في عداد افراد التنظيمات العمالية والاتحادات والاحزاب . ولكن انضمام النساء العاملات الى تنظيم نقابي أو حزبي لم يكن يترافق مع النضال في المجالات التي تهم النساء بشكل خاص . هكذا كان الوضع في المانيا حتى اواسط العشرينيات ، وفي انكلترا حتى القرن العشرين ، وفي روسيا حتى ثورة ١٩٠٥ . ونتيجة لذلك ، فان البحث والاستقصاء عن القضايا التي تخص العاملات ، **بوصفهن نساء** ، والدفاع عن مصالحهن كأمهات وربات بيوت ، قد تُرك في يد دعاة الاتجاه النسوي في المعسكر البرجوازي .

ان منتصف التسعينيات (من القرن الماضي) يشكل منعطفا في هذا الصدد . ففي مؤتمر غوتا للحزب الاشتراكي الديمقراطي عام ١٨٩٦ ، ارسيت قواعد عمل تحريضي خاص ومستقل بين النساء ، بناء على اصرار كلارا زتكن . وفي العام ذاته ، خلال انعقاد « المؤتمر الاشتراكي الاممي » في لندن ، عقد اول اجتماع خاص ضم حوالي ثلاثين مناضلة اشتراكية كن في عداد المندوبات الى المؤتمر عن انكلترا والمانيا وبلجيكا واميركا وهولندا وبولونيا . ويشكل هذا الاجتماع بداية محاولة متواضعة لبعث الحياة في الحركة الاشتراكية النسائية في الاقطار الاخرى .

عني هذا الاجتماع الخاص قبل كل شيء بنقاش مسألة العلاقة بين الحركة النسوية البرجوازية والحركة النسائية الاشتراكية . فأقر ضرورة رسم حد فاصل بين الحركتين ، ولاحظ ضرورة التحريض الاشتراكي الخاص بين العاملات لجذبهن الى صفوف حزب الطبقة العاملة .

لقد مضى عقدان من الزمن على انعقاد اول اجتماع للمناضلات الاشتراكيات . خلال تلك السنوات ، سيطرت الرأسمالية ليس على فروع صناعية جديدة وحسب ، بل وعلى اقطار جديدة ايضا . واتسعت اليد العاملة النسائية، واكتسبت المزيد من الوزن الاجتماعي في حياة الاقتصاد الوطني . لكن العاملات كن مبعثرات ، لا يضمهن تنظيم ولا يربطهن بزملائهن العمال اي رابط ، تظهرن كمنافسات

خطيرات يهددن بتخريب تقدم نضالات العمال المنظمة. فبدت مسألة تنظيم المرأة العاملة ، في تلك السنوات ، كمسألة حيوية وملحة . غير ان كل قطر شق طريقه الخاص في معالجة مسألة تنظيم النصف النسائي من البروليتاريا وتكييف النساء مع ظروف الواقع الاجتماعي .

وهذا ما يفسر تنوع الاساليب التنظيمية . فقد انضمت النساء الى اتحادات نقابية عامة أو مختلفة ، أو انتظمن في نقابات خاصة بالنساء أو أسسن النوادي النسائية وجمعيات التثقيف الذاتي أو شكلن تنظيما نسائيا خاصا داخل الحزب اخذ على عاتقه العمل التحريضي والتنظيمي بين النساء . وهذا الاسلوب الاخير هو الاكثر ملاءمة لمهمة زج العاملات في الصراع الطبقي .

مع اطلالة عام ١٩٠٧ كانت حركة المرأة العاملة قد بلغت من الاتساع قدرا سمح بالدعوة لعقد **اول مؤتمر اممي للنساء** في شتوتغارت ، بالتعاون مع **المؤتمر الاشتراكي الاممي** العام. ولم تقتصر النساء الاشتراكيات على تبادل المعلومات حول النشاط القطري ، بل انهن اعلن عن تصميمهن على مواصلة العمل على الاسس السابقة ، وبكافة الوسائل ؛ من اجل تنمية وتطوير الحركة العمالية النسائية . وبعد شيء من الخلاف ، اتفقت المندوبات على توصية قدمتها المندوبات الالمانيات بصدد انشاء **المكتب النسائي الاممي** ، تكون مهمته توثيق العلاقات بين التنظيمات العمالية النسائية في مختلف

الاقطار .

هذا وقد اعترفت الهيئة المركزية للحركة العمالية النسائية الاممية بصحيفة **غلايشهايت** (المساواة) التي يصدرها الحزب الالماني .

والواقع أن مؤتمر شتوتفارت عزز ذلك القسط من الاستقلالية الضروري لتنمية العمل المثمر بين البروليتاريا النسائية . فاتضح انه بالرغم من ان الحركة البروليتارية النسائية جزء لا يتجزأ من الحركة العمالية الشاملة ، الا انها تتمتع بمميزات خاصة ، مردّها الظروف الحياتية الخاصة بالمرأة العاملة ، والموقع الاجتماعي والسياسي المميز الذي تحتله المرأة في المجتمع الحديث . وعلى الرغم من ان اهداف التحريض الموجهة للنساء خاصة لا تختلف عن تلك الموجهة للحركة العمالية عامة ، وعلى الرغم من انها تشكل جزءا من هدف أشمل ، غير انها، بما هي تعنى مباشرة بمصالح النساء، فان أفضل وسيلة لتنفيذها هي عبر مبادرة ممثلات الطبقة العاملة النسائية .

ومع ان الاشتراكيين يعترفون بأن قضية المرأة تشكل جزءا عضويا من القضية الاجتماعية الشاملة في عصرنا ، ويعتبرون المرأة العاملة عضوا في الطبقة العاملة قبل ان تكون اي شيء آخر تعاني الاستعباد والحرمان من الحقوق المدنية يضطرها النضال من اجل تحررها الى النضال قبل كل شيء لتحرر طبقتها بأسرها ــ مع هذا كله ، فالاشتراكيون يطرحون

نقطة اضافية الى جانب اعترافهم بذلك المبـدا الاساسي . وهي ان المراة العاملة ليست فقط عضوا في الطبقة العاملة، بل انها في الوقت ذاته ممثلة لنصف الجنس البشري . وعلى عكس دعاة النسوية ، فالاشتراكيون الذين يطالبون بالحقوق المتساوية للنساء فيالدولة والمجتمع، لا يغمضون اعينهم عن كون مسؤوليات المراة تجاه المجتمع سوف تبقى مختلفة الى حد ما عن مسؤوليات الرجل . فالمراة ليست فقط عاملا ومواطنا مستقلا ، بل انها ايضا أم وحاملة الغد في احشائها. وهذا ما يؤدي الى سلسلة كاملة من المطالب الخاصة فـي مجالات مثل حماية عمل النساء، وضمانات الامومة والطفولة، والمساعدة في تربية الاطفال ، واصلاح العمل المنزلي ومـا شـابه .

وبالاضافة لذلك كله ، فاننا نجد المراة العاملة في وضع يائس في المجتمع والدولة في معظم البلدان . فالعاملة منبوذة حتى بين عبيد الراسمالية الجدد (١) ، وهذا النبذ للنساء يولد عدم المساواة في الظروف الحياتية بين المراة والرجل حتى ضمن الطبقة العاملة نفسها . فسواء في السياسة والاسرة او في العلاقة بين الجنسين (البغاء ، النفاق الاخلاقي ...)، او في العمل نفسه ، تحتل المراة دائما « مركزا ثانويا » . وان

---

(١) تعني بهم طبعا البروليتاريا الصناعية ، « عبيد الاجور » ، كما يسميهم ماركس . ـالمترجمـ

حياتها كلها هي الشاهد الدافع على حرمانها من الحقوق .

طبيعي اذن ان يختلف تكوين المرأة العاملة النفسي عن تكوين العامل ، تحت تأثير عبودية القرون . فالعامل اكثر استقلالا وحزما وشعورا بالتضامن . ثم ان افقه اوسع لانه ليس سجين العلاقات العائلية الضيقة . فيسهل عليه بالتالي ان يعي مصالحه ، وان يربطها بالقضايا الاجتماعية . اما لكي تبلغ المرأة العاملة مرحلة نضج الاراء التي يبلغها العامل العادي ، فهذا يعني ان تحقق قطيعة كاملة مع التقاليد والمفاهيم والقيم الاخلاقية والعادات التي تشكل جزءا لا يتجزأ من كيانها منذ نعومة اظافرها . ذلك ان التقاليد والعادات التي تسعى للمحافظة على نمط من النساء انتجته اطوار النمو الاقتصادي السابقة ، تتحول الى عقبات كأداء في طريق بلوغ المرأة العاملة الوعي الطبقي . من هنا يمكن الخلوص الى النتيجة الواضحة التالية : ان توعية المرأة العاملة ، وبعث الحياة في ارادتها لا يكون الا باعتماد اسلوب خاص في مخاطبتها ، الا باستخدام اساليب متخصصة للعمل بين النساء .

ان خصوصية هذه الوسائل تكمن في انها تبقي على الصلات العامة بين الحركة العمالية النسائية والحركة العمالية العامة ، لا بل تعمل من اجل انصهارها فيها عبر النضال ، ودمجها معها تحت راية المهام والمطالب الطبقية العامة . غير انها ، في الوقت ذاته ، تسمح بقيام جهاز خاص للتحريض

معد خصيصا للنساء العاملات . ولهذا الفصل هدف مزدوج. يجب على هذه الهيئات الحزبية (لجان ، مكاتب النساء العاملات ، وما شابه) ان يضطلع بعمل تحريضي منتظم متلائم مع مستوى مشاكل جمهور النساء ذي الوعي المتنامي، وان تنمي وعي العاملات ، وترفعه الى مستوى وعي الاعضاء الحزبيين ، وتدفع بالنساء الى حلبة الصراع الثوري . هذا هو الهدف الاول . اما الهدف الثاني فهو ان تتولى هذه الهيئات تعليم العاملات من خرج المكاتب الخاصة بهن ، بوصفهن نساء ، والدفاع عنها : الامومة ، وتربية الاطفال، الحد الادنى للاجور لعمل الاطفال والنساء ، مكافحة البغاء، تخفيف اعباء العمل المنزلي ، وغيرها .

ينتج عن ذلك ان تشكيل مجموعات من العاملات الحزبيات يخفف اعباء اجتذاب جماهير النساء الاتي وتهيء الى صفوف الحزب، التواني ينبغي التحدث اليهن بلغة مختلفة عن اللغة المستخدمة مع الرجل . ومن جهة ثانية ، فان تشكيل وحدات من العاملات الحزبيات ـ يسمح بجذب اهتمام الحزب للمتطلبات الخاصة بالبروليتاريا النسائية .

تلك هي النتيجة التي توصلت اليها الرفيقات الالمانيات تدريجيا . وسرعان ما ثبتت معظم الاحزاب هذا الاسلوب في العمل . بدأت النمسا في عام ١٩٠٨ ، والكتراخ ١٩٠٦ ، والولايات المتحدة عام ١٩٠٨ ، والبلدان السكندينافية وبلجيكا وهولندا مع مطلع القرن العشرين . هذا وتوجد في

سويسرا وفنلندا وفرنسا هيئات خاصة للنساء الاشتراكيات في كل مكان ، تتولى العمل التحريضي بين العاملات وتركز اهتمام الاحزاب العمالية على ذلك الجزء من البرنامج الاشتراكي المتعلق مباشرة بمصالح النساء .

وبفضل هذا الاسلوب في العمل ، اخذت الحركةالعمالية النسائية تنمو وتتسع وتمد جذورها . واخذ عدد العاملات المنظمات يرتفع في كل عام ، لا بل اخذ ينمو بوتيرة اسرع نسبيا من وتيرة تزايد عدد الرجال المنظمين في الحركة الاشتراكية الديمقراطية . ففي المانيا ، مثلا ، كان الحزب لا يحوي عام ١٩٠٧ اكثر من ١٠٥٠٠ عاملة . فقفز هذا العدد عام ١٩٠٨ الى ٢٤٤٥٨ ، والى ٦٢٢٥٩ عام ١٩٠٩ ، و٨٢٨٤٦ عام ١٩١٠ ، و ١٠٧٠٠٠ عام ١٩١١ ، و ١٣٠٠٠٠ عام ١٩١٢ ، و ١٥٠٠٠٠ عام ١٩١٣ . بكلمات اخرى ، تضاعف عدد النساء في الحزب ١٥ مرة في غضون ست سنوات ، بينما عدد الرجال بالكاد تضاعف مرتين . ففي عام ١٩٠٧ ، كان عدد الرجال ٦٠٠٠٠٠ وارتفع عام ١٩١٣ الى ٨٣٠٠٠٠ .

منذ زمن ليس بالبعيد ، في **المؤتمر الاممي للنساء الاشتراكيات** المنعقد في شتوتغارت عام ١٩٠٧ ، كان عدد العاملات المنظمات حزبيا من الضآلة بحيث ان معظم المندوبات لم يقدمن اي كشف بالارقام حول عدد النساء في احزابهن.

في ذلك الحين كانت انكلترا تحتل المرتبة الاولى في عدد النساء العاملات المنظمات ، اذ بلغ عدد العاملات في نقاباتها

١٥٠،٠٠٠ عاملة ، في مقابل ١٢٠،٠٠٠ في المانيا ، و ٤٢،٠٠٠ في النمسا ، و ١٥،٠٠٠ في المجر . اما بالنسبة للاحزاب ، فان نسبة النساء كانت اكثر انخفاضا . وكانت فنلندا الصغيرة البلد الذي يفاخر بأنه يضم اكبر نسبة من المناضلات الاشتراكيات ـ الديمقراطيات ، غير ان هذه النسبة لم تكن تتعدى الـ ١٨،٠٠٠ عاملة .

ولقد ظهرت صورة مختلفة واكثر اشراقا في **المؤتمر الاممي الثاني للنساء الاشتراكيات** المنعقد في كوبنهاغن في آب (اوغسطس) ١٩١٠ .

كانت ثلاث سنوات فقط قد مضت على انعقاد اول مؤتمر نسائي . ولكن ، يا له نمو هائل في جيش العاملات المساهمة بنشاط في النضال ! في انكلترا ، كان عدد العاملات المنضويات في النقابات قد جاوز الـ ٢٠٠،٠٠٠ عاملة ؛ بينما بلغ في المانيا ١٣١،٠٠٠ عاملة في النقابات و ٨٢،٦٤٥ عاملة في الحزب؛ وضم الحزب في النمسا ٧٠٠٠ مناضلة. كذلك ظهر تقدم ملموس في الحركة العمالية النسائية في بلدان اخرى .

وكدليل على مستوى تنظيم العاملات ، نقدم الاحصائيات للسنوات الاخيرة قبل الحرب :

انكلترا (١٩١١)

في النقابات	٢٩٢،٨٦٨
في عصبة المراة العاملة	٥،٠٠٠

المانيا (١٩١٠)

في النقابات	١٦١،٥٦٢
في الحزب الاشتراكي الديمقراطي	١٥٠،٠٠٠

النمسا (١٩١١)

في النقابات	٤٧،٩٠١
في الحزب الاشتراكي الديمقراطي	١٩،٠٠٠

فرنسا (١٩٠٨)

في النقابات	٨٨،٩٠٦

ايطاليا (١٩٠٨)

في النقابات	٤١،٠٠٠
في الحزب الاشتراكي الديمقراطي	١٠،٧١١

هولندا (١٩١٠)

في النقابات	٢٤،٠٠٠
في الحزب	٢،٩٤٣

سويسرا (١٩١٠)

في النقابات	٦،٠٠٠
في الحزب الاشتراكي الديمقراطي	١،٠٠٠

فنلندا (١٩١٠)

في الحزب الاشتراكي الديمقراطي	١٧،٠٠٠

النروج (١٩٠٩)

في النقابات	٣،٠٠٠
في الحزب	١،٥٠٠

لم نورد اعلاه معلومات عن عدد من البلدان ـ بلجيكا، اسبانيا ، دنمارك، والسويد . ثم ان الكثير من الاحصائيات لا تقدم صورة دقيقة عن الوضع ، لان الزمن قد تجاوزها ، ذلك ان حركة النساء العاملات اخذت تتقدم بخطوات سريعة في السنوات القليلة الاخيرة . لهذا يستطيع المرء ان يقول بدون مبالغة ان عدد العاملات المنظمات في اوروبا وحدها يبلغ المليون امراة .

يكمن وراء هذه النجاحات التنظيمية الباهرة ، ولا شك ، عامل اقتصادي موضوعي : النمو المتسارع لليد العاملة النسائية الصناعية وخاصة في البلدان ذات الاقتصاد الراسمالي الناشيء والسريع النمو نسبيا . ولكن بالاضافة لهذا العامل الموضوعي ، فان التاثير الحيوي الواعي للحزب على جماهير النساء والعمل المتخصص المنتظم الذي اضطلعت به التنظيمات الحزبية بنشاط وداب ، وخاصة في السنوات التي سبقت الحرب ، قد لعب دورا مهما في تحقيق مثل هذه النجاحات .

ولكي نكوّن صورة ادق عن الوسائل التحريضية التي اتبعتها الحركة النسائية الاشتراكية ، لا بد من دراسة تاريخ تلك الحركة بمزيد من التفصيل . وتشكل المانيا البلد النموذجي في هذا الصدد . فالبلدان الاخرى تكرر ، مع بعض التعديلات ، تجربة الحركة الاشتراكية الالمانية وتستعير منها النموذج الاساسي لعملها مع البروليتاريا النسائية .

كانت انكلترا في مطلع القرن التاسع عشر مهد الحركات النقابية النسائية (اذ بدات عاملات الغزل في لانكشاير تنضم الى نقابات الغزل والنسيج منذ عام ١٨٢٤) ، وبذلت في السبعينات من ذلك القرن محاولة اولى ، بمبادرة من باترسون ، لتوحيد النقابات النسائية المبعثرة في « عصبة حماية المراة العاملة » (التي تحولت فيما بعد الى « عصبة النقابات النسائية ـ العصبة النقابية ») واستطاعت ان تربط اطراف الحركة بعضها ببعض وتؤمن الحد الادنى من التماسك بينها . ولكن اذا كانت العاملات الانكليزيات اول من خرج للدفاع عن الحقوق الاقتصادية المهضومة للنساء، فان الاشتراكية الديمقراطية الالمانية هي التي حملت في احشائها الحركة الحزبية السياسية للعاملات .

ومهما تكن اهمية النجاحات التي أحرزها التنظيم النقابي للعاملات في انكلترا ، فقد ظلت هذه الحركة مطبوعة بطابع اقتصادي ضيق . فلم تعرف النقابات المختلطة ولا النقابات النسائية المستقلة اي نقاش حول المهام الاجتماعية العامة المتعلقة بتحرر النساء ، ولا حول المصالح الحيوية للعاملات ، **بوصفهن نساء وامهات** . كانت النساء تنضم الى الحركة النقابية فقط من اجل المكاسب العملية السريعة في مجال العمل ليس في انكلترا وحدها وانما ايضا في بلدان اخرى كالمانيا وفرنسا واميركا . واقتصر النقاش وطرح القضايا الاجتماعية العامة التي تمس مصالح النساء على

الحركة النسوانية الصاعدة . غير ان النسوانية حرّفت مطالب العاملات وعرضتها للعالم بشكل مشوه ، في صيغ عقيمة لا حياة فيها تتحدث عن المساواة المطلقة في الحقوق بين الرجال والنساء في شتى ميادين الحياة . ولا تزال الحركة النسائية العمالية في انكلترا تحمل حتى الآن آثار تلك الازدواجية . ففي المجال الاقتصادي ، تناضل المراة العاملة، بوصفها رفيقة واعية ، من اجل مصالح طبقتها . ولكن نجد، في المقابل ، ان العاملة المتدنية الوعي تظل متمسكة ، في افكارها الاجتماعية والسياسية، بأفكار «دعاة حق الاقتراع للنساء»، لا بل انها مستعدة للدفاع عن مبدا مساواة النساء ولو على حساب مصالحها الطبقية .

كانت الحركة العمالية النسائية في المانيا مختلفة تماما . صحيح ان تنظيم العاملات كان مرتكزا في الستينات والسبعينات على النقابات بالدرجة الاولى ، غير ان الزيادة الكبيرة في حجم القوة العاملة النسائية نتيجة تسارع وتيرة النمو الرأسمالي في المانيا ، اجبر الحزب الاشتراكي الديمقراطي الناشىء على تحديد موقف واضح من مسألة المرأة .

كان ثمة وجهتا نظر تتصارعان داخل التنظيمات العمالية : فالبعض ينظر الى عمل النساء المبني بوصفه انحرافا عن « النظام الاجتماعي الطبيعي » ويأمل في اجبار النساء على العودة الى البيوت بواسطة التشريعات القسرية.

اما البعض الآخر ، فقد قَبِل بالظاهرة على انها مرحلة حتمية تقود المراة الى تحررها النهائي ، بوصفها بائعة لقوة عملها وامراة في آن معا .

ولقد لعب كتاب بيبل « المراة والاشتراكية » الـذي صدر عام ١٨٧٩ دورا حاسما في هذا المضمار . اذ القـى الضوء الكاشف على تعقيد مسألة المراة ، وفتـح الافـاق الجديدة امام الاشتراكيين الديمقراطيين . كذلك اقام الكتاب المذكور صلة وثيقة بين مسألة المراة وبين الهدف الطبقي العام للعمال . غير انه نبه ، في الوقت ذاته ، الـى الحاجات والمطالب الخاصة بالنساء ، والى السمات المميـزة للمراة بوصفها امراة . ان هذا الاعتراف بالوضع الخاص للمراة في المجتمع الحديث قد استوجب الاعتراف بأنه يوجد مجـال للعمل ضمن البروليتاريا النسائية ، بدون ان يُعتبر مثل هذا الاعتراف تخريبا لوحدة الحزب .

جرت اول محاولات لبناء تنظيمات نسائية اشتراكية في المانيا في اواسط الثمانينيات (من القرن الماضي) . بمبادرة من وليام ـ شاك ، المناضلة النسوية السابقة التـي انضمت الى الاشتراكيين الديمقراطيين ، تأسست جمعيات للتثقيف الذاتي ونواد للعاملات في برلين . لكن الثمانينيات في المانيا كانت حقبة حالكة السواد ، يطبق فيهـا قانون تعسفي يحظر النشاط الاشتراكي . فاذا بقوات القمـع تدمر بـلا رحمة منظمات بريئة ، بذلت جهود جبارة لبنائها . وهكذا فان

القانون الخاص لعام ١٨٨٧ سرعان ما قضى على البدايات الاولى للجمعيات النسائية الاشتراكية .

مع هزيمة هذا القانون الذي يحظر النشاط الاشتراكي، توطدت الحركة العمالية الالمانية بسرعة ، وانتعشت معها الحركة العمالية النسائية . ولم تفتح ابواب النقابات امام النساء وحسب ، وانما اختيرت امراة ايضا رئيسة « اللجنة العامة للنقابات ». اما بالنسبة للحزب الاشتراكي الديمقراطي، فقد اتخذ هذا موقفا واضحا من مسالة المراة في **مؤتمر ارفورت** . واذا بالبرنامج الصادر عن ذلك المؤتمر ، عام ١٨٩١ ، لا يشدد فقط على المطالبة بالحقوق السياسية لجميع المواطنين بدون تمييز بين رجل وامراة ، وانما يرفع ايضا ، في بنده الخامس ، مطلبا محددا لمصلحة النساء . « الغاء كافة القوانين التي تميز ، حياتيا ، بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالحقوق السياسية او المدنية » . هذا اقرار هام بحقوق النساء . فهو يعني ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي اخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن مصالح نساء الطبقة العاملة، بالمعنى العام للكلمة . فلم تعد المسالة مسالة تحسين ظروف عمل المراة، وانما باتت ايضا مسالة تحررها كمواطن وانسان.

انسجاما مع هذا الهدف المعلن الجديد ، اضطر الحزب الى تعديل انظمته الداخلية لافساح المجال امام مشاركة النساء في العمل الحزبي . وكان **مؤتمر الهال** عام ١٨٩٠ قد اقر توصية حول تولي النساء رئاسة المؤتمرات اجازت انتخاب

النساء كرئيسات للاجتماعات الخاصة بالنساء .

وفي مؤتمر برلين ، قدمت منظمة برلين النسائية تعديلا يقضي باستبدال منصب « الامين السر الرجل » بمنصب « امين السر » فقط ، بحيث يتاح للنساء احتلاله . وطالبت منظمة نسائية ثانية ، هي منظمة مانهايم ، بتوسيع العمل التحريضي بين النساء . غير ان الخطوة الحاسمة بالنسبة لوسائل العمل الحزبي بين العاملات جاءت **في مؤتمر غوثا** ، عام ١٨٩٦ . أثارت كلارا زتكن موضوع العمل الحزبي بين العاملات، وأرست قواعد قيام عمل حزبي متخصص ومستقل بين النساء . وفي سعيها لرسم الحد الفاصل بين مفاهيم المساواة التي يحملها المعسكر البرجوازي والمفاهيم النسائية الاشتراكية ، اصرت كلارا زتكن ، في توصية صيغت بعبارات كلاسيكية ، على ان يركز التحريض بين النساء ، بالاضافة لدعوته للاهداف العامة للحزب ، على سلسلة كاملة من « القضايا النسائية » المحض ، مثل حماية العمل وضمان الولادة ورعاية الاطفال وتربيتهم والتثقيف السياسي للنساء والمساواة السياسية للنساء وغيرها . واقرت التوصية البدء بنشر الادبيات والكرّاسات والبيانات الخاصة بالنساء . وبالاضافة لهذه التوصية التاريخية ، التي حكمت العلاقة بين الحزب والحركة العمالية النسائية وقضاياها ، فقد اقر المؤتمر ثلاث توصيات تكمل الواحدة منها الاخرى وتحدد ، على نحو حاسم ، الخط الجديد الذي يتبعه الحزب في مجال

تنظيم العاملات .

وقد طالبت توصية تنظيم برلين بتكثيف العمل التحريضي بين النساء من اجل اجتذابهن الى النقابات، نظرا لكون القانون يمنع النساء من الانضمام علنا الى الحزب . اما التوصية الثانية ، فكانت تتعلق بالمجال التنظيمي ، وطالبت باعتماد منصب حزبي جديد هو « امينة السر النسائية » المسؤولة عن العمل التحريضي المنتظم بين النساء من اجل رفع مستوى وعيهن الطبقي واجتذابهن الى صفوف الحزب . واقترحت التوصية الثالثة الانعقاد الفوري للاجتماعات النسائية العامة من اجل انتخاب « امينات السر للنساء » .

بذلك يكون مؤتمر غوثا قد افتتح مرحلة العمل الحزبي لتنظيم النساء والتحريض المنتظم في صفوف البروليتاريا النسائية .

نما العمل على النحو المرسوم اعلاه بسرعة وثبات . وجاءت المؤتمرات اللاحقة لتدخل تعديلات طفيفة الى مسألة تنظيم النساء العاملات والعمل التحريضي بينهن . ويمكن القول بشكل عام ان الحزب ظل ملتزما بخطة عمله التي وضعها في مؤتمر غوثا . صحيح ان عقبة كأداء كانت تعترض تطور الحركة الاشتراكية النسائية في المانيا ، هي القانون الذي يحظر على النساء الانضمام العلني الى الحزب. غير انه في الامكنة حيث لم يكن يوجد تشريع محلي يحظر على النساء

المساهمة في الحركات السياسية ـ في بادن مثلا وورتنبرغ وساكسوني وهيسين وبعض الدويلات والمدن الحرة كبريمن ولوبيك وهامبورغ ـ انضمت النساء علنا الى الحزب . اما في الامكنة الاخرى ، فقد انضممن للعمل السياسي تحت ستار « جمعيات التثقيف الذاتي للعاملات » او التفقن حول « امينات سر للنساء » في مجموعات حرة غير منتظمة . وعلى الرغم من ذلك ، فان نظام « امينات السر للنساء » ورئاسة النساء للمؤتمرات وصدور مجلة نسائية ، « غلايشهايت » (المساواة) ـ كل هذه سمحت للحركة النسائية الاشتراكية بان تكون وثيقة الارتباط بالحركة العامة للطبقة العاملة وان تبقى تحت تاثير الاشتراكية الديمقراطية ، مع انها ظلت تنمو خارج اطر الحزب .

ومع ان الحزب عدل نظامه الداخلي في **مؤتمر ماينز** عام ١٩٠٠ ، مستبدلا نظام « امين السر » بنظام اللجان المحلية، فانالتعديلات لم تؤثر فيتنظيم النساء البروليتاريات. واقر مؤتمر ميونيخ عام ١٩٠٢ الابقاء على منصب «امينة السر لشؤون النساء» ، وجرى تكليف امينات السر بمهمة تنظيم النساءَ العاملات ومواصلة العمل التحريضي في صفوفهن . واقر **مؤتمر ماينز** منصب **امينة السر المركزية** لعموم المانيا . وهكذا تمكنت الحركة النسائية الاشتراكية من ان تخطو خطوات جبارة منذ مؤتمر غوثا . ومع مؤتمر ماينز، عام ١٩٠٠ ، عقد **المؤتمر الاول للنساء الاشتراكيات** . وبعده ،

صارت المؤتمرات تنعقد دوريا في المانيا ، مرة كل سنتين : في ماينز عام ١٩٠٠ ، في ميونيخ عام ١٩٠٢ في بريمان عام ١٩٠٤ ، في مانهايم عام ١٩٠٦ ، في نورنبرغ عام ١٩٠٨ ، وفي يينا عام ١٩١١ . وجاءت مؤتمرات العاملات كجواب طبيعي على تنامي المطالب التي طرحتها الحياة نفسها . ولم يعد بالامكان تأجيل البت بمسالة حق التصويت للنساء في **الرايخشتاغ** (المجلس الفدرالي) او في **اللاندتاغ** (المجالس المحلية) ، او بمسالة الامومة المعقدة والمعلقة منذ زمن . وكان لا بد من البت في قضايا اخرى معلقة كقضية تربية الاطفال قبل بلوغهن سن الدراسة ، وحماية عمل الاطفال والنساء ، واصلاح المدارس ، واصلاح العمل المنزلي ، وتنظيم خادمات البيوت ، وتحديد اجورهن ، وتحقيق الضمان الاجتماعي للامهات واطفالهن ، والنضال ضد ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال ، الخ .

وهذه كلها قضايا تمس العاملات مسا مباشرا ، لالتصاقها بحياتهن . وقد تولدت عن هذه القضايا مطالب جديدة . وقد درست مؤتمرات النساء الاشتراكيات كافة هذه المطالب وناقشتها وحددت صياغتها ، فدفعت الحزب بذلك الى ان يدرس بمزيد من العناية والتمعن الحاجات والتطلعات الخاصة بالنساء . وهكذا تحولت المؤتمرات النسائية الى **لجان خاصة تولت تحضير المواد للمؤتمرات العمالية العامة حول الشؤون الخاصة بالنساء** . فنشأ داخل الحزب

تقسيم عمل محدد ، لا شك في ان الحركة العمالية العامة افادت منه كثيرا .

ينظر عادة الى استقلالية الحركة النسائية الاشتراكية في المانيا على انها وليدة خطط تكتيكية سياسية وحسب ، ردا على القانون الذي يحظر على النساء الانضمام الى المنظمات السياسية . هذه الفكرة خاطئة . صحيح ان **قانون الاتحاد والتنظيمات** اجبر الحركة النسائية الاشتراكية على تكوين هيئات غير حزبية كـ « **جمعيات التثقيف الذاتي للنساء العاملات** » . غير انه مع تزايد عدد العاملات الواعيات سياسيا ، وجد الحزب طريقة للتحايل على القانون ، فانطلق من وحدة الحركة العمالية ليطالب النساء بالانضمام الى هيئاته بوصفهن « متبرعات متطوعات » للحزب ، وما لبثت هذه التبرعات ان اصبحت دورية ، وتحولت بذلك الى اشتراكات لعضوية الحزب . غير ان الحزب ابقى على منصب **امينة السر للنساء** ، وعلى الاجتماعات النسائية الخاصة ، والمكتب النسائي المنفصل الذي يصدر صحيفته الخاصة ـ **غلايشهايت** ـ كما ابقى على المؤتمرات النسائية وغيرها .

واخيرا ، عندما الغي قانون الاتحادات والتنظيمات البروسي في عام ١٩٠٨ ، وبات بامكان العاملات الانضمام الى الحركة السياسية للاشتراكيين الديمقراطيين ، زالت العقبات امام الغاء العمل الخاص بين النساء . فهل فعل الحزب ذلك؟ هل تخلى عن اساليبه السابقة بين البروليتاريا النسائية ؟

بالعكس تماما . بعد مراجعته الجذرية لنظامه الداخلي في **مؤتمر نورنبرغ** عام ١٩٠٨ ، اجاز الحزب للحركة النسائية الاشتراكية الاحتفاظ باستقلالها الذاتي شرط الا يتعارض مع وحدة الحركة الطبقية .

واعتبر الحزب انه من واجب العاملات الانضمام الى الحزب كعضوات مساويات للرجال ، لكنه اقر رسم اشتراك ادنى من الرسم المفروض على الرجال ، بسبب انخفاض اجور النساء .. وعلى الرغم من الغاء منصب « امينة السر للنساء » ، فقد اعترف النظام الداخلي بضرورة ايجاد تمثيل خاص للنساء في كل **لجنة حزبية** ، حسب نسبة العضوية النسائية في القطاع المعني بالامر . واعتبر انه في كافة الاحوال ، يجب أن يوجد عضو واحد على الاقل في اللجنة الحزبية تنتخبه النساء ، ويكون مسؤولا عن العمل التحريضي والتنظيمي بين العاملات . وتقرر ان تتمثل النساء في **اللجنة المركزية** للحزب ، وابقي على **المكتب النسائي** للحزب ، والى جانب الصحيفة المركزية للنساء العاملات ، **غلايشهايت** ، صدرت سلسلة من المنشورات النقابية والمحلية المكرسة لمصالح العاملات ومطالبهن . كذلك ابقى النظام الداخلي على الاجتماعات الخاصة بالنساء (دروس ، سهرات نقاش) ، وعلى « جمعيات التثقيف الذاتي » حيث تدعو الحاجة ، كما ابقى ، اخيرا ، على المؤتمرات النسائية .

من هنا ، فالتغيير الذي طرأ على قانون الاتحادات

والتنظيمات لم يؤد الى تغيير في طابع واسلوب العمل الحزبي في المانيا . بل بالعكس ، فان تقسيم العمل داخل الحزب حول العمل التحريضي بين النساء ، في السنوات التي سبقت الحرب مباشرة ، قد افسح ارحب المجال امام نمو وتطور المطالب النسائية الخاصة بالعاملات . ويكفي ان نذكر في هذا الصدد « يوم المراة » والتحريض من اجل حق الاقتراع للنساء ومحورهما وسيلة جديدة في اثارة اهتمام العاملات بالسياسة ، وتثقيفهن في امور الاجتماع الثوري انطلاقا من حرمان العاملات من الحقوق المدنية .

ونما الفرع النسائي في الحزب العمالي الالماني سنة بعد سنة ، وتنوعت نشاطاته . والحزب مدين ، ولا شك، لمبادرة العاملات بالنسبة لعدد واسع من الفعاليات الدائرة حول قضايا اكلاف المعيشة ، وضمانات الامومة ، وتوسيع حق الاقتراع في البلديات . وقد اخذت العاملات على عاتقهن قسطا كبيرا من العمل ايام انتخابات **الرايخشتاغ** (المجلس الفدرالي الالماني) في يناير ١٩١٢ ، ولعبن دورا فعالا في انتخابات « صندوق التعويض عن المرض » ، وخضن تحريضا لا هوادة فيه من اجل اجتذاب النساء الى الحزب ، فعقدن الاجتماعات ، ونظمن سهرات النقاش للنساء في كل مكان وصفوف الدراسة المتخصصة ، الخ. ففي عام ١٩١٢ ، نظم **المكتب النسائي** ٦٦ رحلة تحريضية عبر المانيا ، بالاضافة الى العمل التحريضي الذي قامت به العاملات في المقاطعات

الريفية . فعقدن ٢٢ مهرجان نسائي في الهواء الطلق ، فضلا عن سهرات النقاش الدورية والدروس التثقيفية . وتمثلت النساء في ٦٤٦ **لجنة قطاعية** (من اصل مجموع قدره ٤٨٢٧ لجنة) . وكانت صحيفة **غلايشهايت** (المساواة) تطبع ١٠٧،٠٠٠ نسخة . وارتفع عدد النساء المنضمات الى الحزب خلال ذاك العام الى ٢٢،٥٠٠ عضوة .

بالاضافة الى العمل التحريضي في الاجتماعات ، خاضت المناضلات الاشتراكيات نضالا تحريضيا خاصا بين « زوجات العمال » في البيوت ، واسفر هذا النضال عن نتائج رائعة . وكانت **لجان رعاية الاطفال** تعج بالنساء . وبلغ عددها ١٢٥ لجنة قبل الحرب ، وكانت نشاطاتها متسعة باستمرار .

هكذا تبنت الحركة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، بغض النظر عن تاثير الظروف الخارجية ، مبدأ العمل الخاص المستقل بين البروليتاريا النسائية ، المرتكز الى قاعدة « قسمة العمل » داخل الحزب .

وكان الاشتراكيون الديمقراطيون النمساويون في نفس وضع الحزب الالماني ، لجهة الحظر القانوني على انضمام العاملات للتنظيمات السياسية ، فسلكوا سبيلهم الخاص ، الى حل مشكلة مشاركة النساء في الحركة العمالية .

فشكلوا لجنة خاصة دعيت **اللجنة العامة لشؤون النساء** التي كانت رسميا خارج الحزب ، لكنها مرتبطة به

ايديولوجيا . وابتداء من **المؤتمر الثاني للنساء العاملات** ، المنعقد عام ١٩٠٣ ، أدرجت مسالة « دور المرأة في النضال السياسي » على جدول الاعمال . وعلى الرغم من ان المؤتمر وافق على توسيع العمل الدعائي بين العاملات ، ومن اتخاذه قرارا بتكوين لجان نسائية محلية لهذا الغرض ، فان مساهمة النساء في العمل السياسي كانت تتقدم ببطء وبصعوبة . غير ان الحركة العارمة للعمال النمساويين من أجل اصلاح القانون الانتخابي في عام ١٩٠٥ شكلت حافزا جديدا للعمل النسائي . فانجذبت النساء الى النضال ، وشاركن في الاضراب العام ، مما دفع **باللجنة العامة لشؤون النساء** الى ان تتقدم من لجنة الحزب ولجنة النقابات بمشروع لتنظيم العمل بين العاملات على أساس الخطوط التي رسمها الحزب الالماني . وقد أقر مؤتمر الحزب عام ١٩٠٧ مبدأ انشاء فرع خاص للتحريض النسائي تابع للحزب ؛ ومع انعقاد المؤتمر الثالث للنساء العاملات ، في عام ١٩٠٨ ، بدأ العمل المستقل في صفوف البروليتاريا النسائية في النمسا مستلهما النموذج الالماني . ولم يغير في الامر شيئا الغاء القانون الذي كان يحظر على النساء الانضمام الى التنظيمات السياسية في عام ١٩١٠ .

في انكلترا ، اضطلعت **العصبة العمالية النسائية** داخل **حزب العمال** بمهمة التحريض المستقل بين العاملات . وكان **الحزب الاشتراكي الديمقراطي البريطاني** قد انشأ في عام

١٩٠٦ **لجنة نسائية** لهذا الفرض نفسه . وفي عام ١٩٠٨ ، انشأ **الحزب الاشتراكي الاميركي** بدوره منظمة للعاملات في اميركا لاقت نجاحا مرموقا . وفي سويسرا ، اسست كلارا زتكن **اتحاد النساء العاملات** الذي ضم ١٥ فرعا ، واخذ على عاتقه شتى اشكال العمل لنشر الدعاية الاشتراكية بين العاملات قبل الحرب . والواقع ان فنلندا والسويد والنروج والدنمارك وهولندا ـ كلها اعتمدت اللجان الحزبية النسائية والمكاتب وامانات السر النسائية. وشهدت فرنسا في السنوات الاخيرة محاولة لانشاء تنظيمات حزبية نسائية مشابهة . والى جانب هذا الاسلوب في تنظيم العاملات في مختلف الاقطار ـ الولايات المتحدة ، انكلترا ، هولندا ، السويد ـ استمرت منظمات خاصة ، تقع رسميا خارج الحزب، لكنها كانت هي ايضا تحت القيادة الايديولوجية للاشتراكيين الديمقراطيين . وشمل هذا الاسلوب في التنظيم جمعيات التثقيف الذاتي للعاملات ، واتحادات التوعية وغيرها . وكان الهدف منها اما « تمهيد الطريق » للانضمام للحزب ، بواسطة الدعاية في اوساط اشد الجماهير جهلا وتخلفا ، واما تعميق الوعي النظري عند العاملات ، وتدريب القوى الاشتراكية الفتية للعب الادوار القيادية في الحركة الطبقية .

في روسيا ، بذلنا نحن ايضا المحاولات لانشاء منظمات من هذا النوع . وكانت اول محاولة في ربيع عام ١٩٠٦ ، عندما فتحنا **نوادي النساء العاملات** ، في بعض نواحي

بتروغراد ، دون اخذ اذن مسبق بذلك . وجاء حل مجلس الدوما الاول ليجبر هذه النوادي على اغلاق ابوابها .

جرت المحاولة الثانية في خريف ١٩٠٧ ، عندما بادر الاشتراكيون الديمقراطيون الى تأسيس **جمعية التثقيف الذاتي للعاملات** ، كان هدفها اجتذاب أوسع جماهير النساء ذوات الوعي المتدني الى الحركة الطبقية ، وادخالهن الى الاتحادات النقابية والى الحزب .

لكن النظام القيصري قضى على هذه المحاولات قبل أن تجني ثمارها . ففي عام ١٩٠٩ ، اضطرت الحركة العمالية الى الالتجاء للعمل السري مرة ثانية . غير ان ذلك لم يمنع العاملات الاشتراكيات الديمقراطيات من حضور **أول مؤتمر نسائي لعموم روسيا** ، دعت له حركة الحقوق المتساوية البرجوازية عام ١٩٠٨ . وتمثلت العاملات الاشتراكيات الديمقراطيات في هذا المؤتمر بوفد طبقي متميز ضم ٤٥ امراة . وبعد ان قدم الوفد مشاريع توصياته التي اقرها المؤتمر ، انسحبت العاملات من مؤتمر « بنات الذوات » هذا .

في عام ١٩١٣ ، قررت الحركة الاشتراكية الديمقراطية عقد **يوم المراة** في روسيا . ويمكن اعتبار هذا الحدث بدء ادراك الطبقة العاملة الروسية لضرورة القيام بعمل خاص بين البروليتاريا النسائية . فمقتضيات الفاعلية وحدها تملي مثل هذا التقسيم للعمل . ذلك ان موقع العاملات في المجتمع

الحديث، والمسؤوليات الخاصة التي تتحملها النساء كأمهات وربات بيوت تملي ضرورة اعتماد وسيلة تحريض خاصة للعمل بين البروليتاريا النسائية .

والواقع ان الحركة العامة للطبقة العاملة هي التي تستفيد من مثل هذا التقسيم للعمل ؛ اي من التحريض الخاص بين العاملات ، ما دام الاهتمام المتزايد بمصالح وحاجات النساء يضاعف من شعبية الحزب بين العاملات؛ ويشجع النساء على الانضمام الى الهيئات الحزبية . وهكذا، فان قيام جهاز حزبي خاص للعمل بين النصف النسائي من الطبقة العاملة لا يضر اطلاقا بوحدة الحركة الطبقية . بل بالعكس تماما ، فهو يمد الحزب العمالي باعداد من المناضلين الجدد، ويوطد قوته ، ويوسع بذلك من مجال عمله الاجتماعي الخلاق حتى في مجال حل مسألة معقدة ومرتبكة كـ « مسألة المرأة » .

اشكال تنظيم العاملات في الغرب

ان الاشكال التنظيمية التي اعتمدتها حركة البروليتاريا النسائية في مختلف البلدان هي من التنوع والتعقيد بحيث يصعب الاحاطة بها كليا في هذا العرض الموجز . ويعود هذا التنوع ، بالدرجة الاولى ، الى تمايز الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بكل بلد . لكنه يعود ايضا ؛ ولو جزئيا؛

الى الدور الواعي الذي لعبته الطبقة العاملة والحركة العمالية النسائية . ولا يجوز أن يغيب عن بالنا ان حركة البروليتاريا النسائية في كل البلدان تقريبا ، لا تزال في طورها الجنيني ، وهي مرهونة ، في تطورها ، بجو «التأييد» او «اللامبالاة» الذي تلقاه في اوساط رفاقها الطبقيين الذين ساروا قدما في طريق النضال الطويل من اجل مستقبل افضل .

هذا وقد عبرت الحركة البروليتارية النسائية عن نفسها بأشكال نموذجية هي التالية :

اولا ، النقابات . وهي على نوعين : النقابات **المختلطة** التي تضم الرجال والنساء معا ؛ والنقابات **النسائية** . في عام ١٨٢٤ ، انضمت عاملات الغزل في **لانكشاير**(١) الى نقابة عمال الغزل والنسيج . وعلى الرغم من أن النساء كن محرومات من الحقوق المتساوية للرجال (اذ لم يكن يحق لهن ، لفترة طويلة من الزمن ، المشاركة في قيادة النقابات الانكليزية او الترشح الى المناصب النقابية وغيرها) ، فان مساهمتهن في النضال الاقتصادي كان له اهمية تعليمية ضخمة ، مهدت الطريق امام انطلاقة الحركة النسائية الاشتراكية فيما بعد .

اما النوع الثاني من النقابات ، التي تقتصر عضويتها

---

(١) مقاطعة شمالية في بريطانيا كانت مركز صناعة الغزل والنسيج، وطليعة الثورة الصناعية (المترجم) .

على النساء ، فقد نما بالدرجة الاولى بسبب المواقف العدائية للعمال الذكور تجاه منافسة العمل النسائي ؟ غير انها تغذت من حركة تحرر المزاة النامية في اوساط الطبقات البرجوازية. فمع السبعينيات ، اسست السيدة باترسوف، **عصبة حماية العمل النسائي** التي عملت لمدة طويلة بالتعاون مع **حماة المساواة في الحقوق** ذات الطابع البرجوازي ، ولم تتحول الا لاحقا الى عصبة للنقابات النسائية . ثم انضمت هذه العصبة الى **الاتحاد النقابي العمالي العام** ، وهي الآن آخذة بالتحرر تدريجيا من تأثير الحركة النسوانية .

ان المنظمات النقابية المقتصرة على النساء تشمل كافة البلدان تقريبا (الولايات المتحدة الاميركية ، فرنسا ، الدنمارك ، المانيا ، الخ) رغم انها تتلاشى تدريجيا، وبفعل مفعول حتمي ، لتحل محلها النقابات المختلطة . الواقع ان للنقابات مهمة محددة ــ النضال من اجل المصالح الاقتصادية لافراد الطبقة العامة . وهذه المصالح الاقتصادية هي بالضبط المصالح التي تجمع ، **في وحدة واحدة لا تنفصم** ، الرجال والنساء من ابناء البروليتاريا . من هنا ، فان اي تمييز بين الجنسين على هذا الصعيد هو تمييز مصطنع ، ويسير باتجاه معاكس تماما لمصالح العمال ، ولا يؤدي الا الى التفريط بالاهداف المباشرة للنضال النقابي . ومع وعي البروليتاري، اعتمادا على تجربته الخاصة ، لوجود هذه الوحدة في المصالح، وقبوله بانضمام النساء العاملات الى منظماته ، لا بل اتخاذه

كافة الخطوات اللازمة لاجتذابهن اليها ، يزول مبرر وجود النقابات الخاصة بالنساء .

ويعود استمرار النقابات النسائية الى يومنا هذا لعاملين اثنين : (١) وجود مهن يقتصر العمل فيها على النساء (٢) وقوع هذه النقابات النسائية تحت تأثير النزعة النسوانية البرجوازية المضرة دائما وابدا بالنضال من أجل الوحدة الطبقية للبروليتاريا .

ثانيا ، التنظيمات الاشتراكية الساعية الى تحقيق اهداف سياسية وطبقية عامة . ذلك هو الشكل التنظيمي الثاني للحركة البروليتارية النسائية . وهو ايضا على نوعين. اولهما ، **المنظمات المستقلة للعاملات** كجمعيات التثقيف الذاتي ونوادي العاملات وروابط التوعية وغيرها . وهذه موجودة خارج أطر الحزب ، رغم انها تعمل بالتعاون الوثيق معه وتحت قيادته الايديولوجية . حتى ان بعض هذه المنظمات، مثل « **الجمعيات التثقيفية لنساء وفتيات الطبقة العاملة** » ، التي كانت واسعة الانتشار في المانيا حتى عام ١٩٠٨ ، أو **الجمعية الاشتراكية النسائية** في نيويورك ، ونوادي النساء العاملات في السويد لا تهدف الا الى الدعاية في أوساط الجماهير الاشد جهلا وتخلفا لاجتذاب اعضاء جدد الى الحزب . اما المنظمات الاخرى ، **مثل نوادي النساء الاشتراكيات** في هولندا ، فهي تضم عاملات بلغن درجة من الوعي السياسي ، يجري تعميقه بواسطة التثقيف النظري

والعملي تمهيدا لاضطلاعهن بالعمل الحزبي العام . وكلا هذين الفرعين من العمل النسائي الاشتراكي آخذ بالتلاشي حاليا، لعدم جدواه وعدم استجابته للتحول الثوري الـذي يجمع ويلحم البروليتاريا من الجنسين في وحدة طبقية واحدة .

أما النوع الثاني من المنظمات الاشتراكية النسائية ، فيضم المنظمات التي تشكل **فروعا من الحزب ذاته** . هـذه ليست خارجة عن الحزب ، وانما تقـع في داخله كهيئات وأجهزة خاصة ـ لجان ، مكاتب ، امانات سر ـ يوكل اليها الحزب مهمة خاصة تتعلق بخدمة البروليتاريا النسـائية . وهذا نوع من التنظيمات فعال ومجد . وتقوم هذه الاجهزة المتخصصة بنشاطات كثيفة ومتعددة الاوجه ، وخاصة في المانيـا .

وتقع على عاتق هذه الاجهزة المتخصصة مهمة « توسيد التربة لجني الحصاد الاشتراكي » . ذلك انها تدرب القوى الفتية للعب دورها « كقيادات نسائية » ، والمشاركة فـي اصدار صحيفة الحزب النسائية ، ورعاية اطفال الطبقة العاملة (وكمثال على ذلك ، نذكر **لجنة رعاية الطفولة** فـي المانيا ، او اللجان الانكليزية المعنية بتلامذة المدارس ، وبتقديم « الحساء الساخن » لابناء العمـال ، وتنظيم المخيمـات الصيفية ، وغيرها) ، واخيرا ، تنظيـم فعاليات سياسية خاصة متعلقة بحق النساء في الاقتراع ـ كما حدث عـام ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ في بروسيا بصدد الاصلاحات الانتخابية .

وبالاضافة لذلك ، تضطلع المكاتب واللجان وامانات السر النسائية بمسؤولية عقد الاجتماعات النسائية ، وتنظيم الدروس الخصوصية ، والدعوة والتحضير للمؤتمرات النسائية ، ونشر الكراسات والبيانات ـ باختصار ، مسؤولية الاضطلاع بكافة أوجه العمل الواسع لنشر الدعاية والتحريض في صفوف البروليتاريا النسائية .

حاليا لا يكاد يوجد حزب اشتراكي ديمقراطي في بلد من البلدان لا يخصص أجهزة خاصة من أجهزته للعمل بين النساء . ويشعر الاشتراكيون في شتى انحاء العالم بضرورة هذه الاستقلالية التي تمليها مقتضيات الفعالية . ذلك ان وضع المرأة المميز في المجتمع المعاصر لا يؤدي الى نشوء مصالح خاصة بالبروليتاريا النسائية وحسب (ضمان الامومة والطفولة ، تحقيق المساواة في الحقوق المدنية والسياسية، اصلاح العمل المنزلي ، وغيرها) ، وانما يتطلب ايضا احداث تعديلات هامة في اسلوب الدعاية والتحريض في صفوف النصف النسائي من الطبقة العاملة . وبديهي ان مثل هذا التخصص لا يعرّض وحدة الحركة الطبقية لاي خطر . بل بالعكس تماما . فبفضل الجهود التي تبذلها الحركة الاشتراكية الديمقراطية ، وقيادتها ، تنخرط الحركة البروليتارية النسائية بالحركة الطبقية العامة ويرتفع مستواها ، مثلما الجدول الرافد يصب في النهر الكبير .

وها اننا قد بلغنا طورا لم تعد الحركة الاشتراكية

الديمقراطية العالمية تضع موضع التساؤل الجدوى من العمل الخاص بين النساء . غير ان الحذر من تأثير « النزعة النسوية » ، فرض على الاشتراكيين والاشتراكيات على حد سواء ، التخوف من مثل هذا التقسيم للعمل طوال فترة زمنية مديدة .

على الرغم من ان الحركة الاشتراكية الديمقراطية ايدت . منذ ظهورها، حقوق النساء نظريا ومبدئيا، واتخذت الخطوات العملية للدفاع عن مصالح العاملات ، الا انها لم تبذل اي جهد خلال سنوات ، ولا هي اعتمدت اي وسيلة لايقاظ وعي جماهير النساء الغافلة المستسلمة . واذا كان العمال الذكور المنظمون في نقابات واحزاب قد نجحوا في كسب بعض الحقوق التي تحسن ظروف معيشة وعمل العاملات ، فقد فعلوا ذلك دون مساهمة من العاملات ، وانما بالنيابة عنهن . وكان ذلك الخطأ الاساسي .

نستثني من ذلك بعض الحالات المعزولة . مثل **لويزا اوتا** في المانيا ، التي خطبت في « اخوية » (١) للعمال ، عام ١٨٤٨ ، واشارت الى ضرورة اشراك النساء في التنظيمات العمالية . والعاملة **هنرييتا لو** ، المراة الوحيدة العضوة في **المجلس العام للاممية الاولى** ، التي بذلت جهودا ملموسة

---

(١) الاخويات العمالية ، او ما يسمى في بعض اقطار المغرب العربي « الودادية » ، شكل اولي من اشكال التنظيم النقابي للعمال (المترجم).

لتنظيم العاملات في انكلترا . غير ان محاولات هذه وتلك باءت بالفشل ، واصطدمت بلا مبالاة الرفاق العمال وبعقبات سياسية خارجية . وبالاضافة لذلك كله ، يجب تذكر الموقف العدائي من منافسة العمل النسائي الذي غلب لفترة طويلة على مشاعر البروليتاريين الذكور ، ودفع بالعديد من النقابات الى اقفال ابوابها في وجه النساء . ان هذا الموقف العدائي، هذا الفهم الخاطيء والضيق الافق لمصالح العمال ، لا يزال قائما حتى الآن ، تتردد اصداؤه في انكلترا ، والبلاد السكاندينافية ، وفرنسا ، وحتى المانيا . غير ان المفاهيم السليمة عن وحدة الحركة الطبقية ، المتوافقة فعلا مع المصالح الحقيقية للطبقة العاملة ككل ، أخذت تفرض نفسها وتحفر طريقها ببطء ولكن بانتظام .

وطبيعي ان يكون تأسيس المنظمات النسائية ، وتوعية النساء ، واطلاق مبادرتهن غير كاف بحد ذاته . اذ ينبغي الاهتداء الى الوسائل الملائمة للعمل بين النساء . وكانت المانيا اول من خطا الخطوات على هذا الطريق . ولعب كتاب بيبل ـ**المرأة والاشتراكية**ـ اكبر دور في تقييم المسألة وجلو ابعادها على نحو صائب. ان هذا الانجيل لكل امرأة اشتراكية يقيم البرهان على ان حل « مسألة المرأة » يعتمد على حل المسائل الاشتراكية العامة لعصرنا ؛ لكنه يلاحظ ايضا مميزات وضع المرأة في المجتمع الراسمالي ـ هذه المميزات التي تثبت ضرورة العمل المستقل في صفوف البروليتاريا النسائية .

يظن البعض ان استقلالية الحركة النسائية في المانيا فرضتها اسباب خارجية ، وبشكل خاص القانون الذي يحظر على النساء الانضمام الى التنظيمات السياسية . هذا الظن خاطيء من اساسه . ويجدر التذكير اولا بأول بأنه بعد عام ١٨٩٢ ، بات الحظر يشمل مساهمة النساء في التنظيمات السياسية فقط . وبالتالي، لم يكن ثمة من حظر على انضمامهن للاتحادات النقابية . والواقع ان النقابات في المانيا ، في فترة التسعينيات ، هي التي كانت تضطلع بالعمل التحريضي المستقل والمتخصص في صفوف البروليتاريا النسائية ، فمهدت بذلك السبيل امام الدعاية الاشتراكية بين العاملات. من هنا ، فلا معنى للاستشهاد بذلك القانون المشؤوم من القوانين الامبراطورية الالمانية . لانه عندما نضجت الظروف، واتضحت مصلحة الحزب في العمل النسائي ، وجدت سبل عديدة للالتفاف حول هذا القانون المزعج وحول غيره من العقبات .

واخيرا ، الغي هذا القانون الذي يحظر على النساء الانضمام الى التنظيمات السياسية في عام ١٩٠٨ ، فزالت بذلك الاسباب الخارجية الموجبة لتقسيم البروليتاريا بين رجل وامراة . فشمل العمل التنظيمي شطري البروليتاريا، الرجالي والنسائي؛ غير ان ذلك لم يقض على العمل المتخصص بين النساء . ففي **مؤتمر نورنبرغ** ، المنعقد في ذلك العام ، اعترف الاشتراكيون الديمقراطيون الالمان – وهم في معرض

مراجعة النظام الداخلي لحزبهم ـ بضرورة المحافظة على العمل الخاص بين النساء ، والاستمرار في اعتماد الاجتماعات النسائية الخاصة ، وتمثيل النساء قطاعيا ومركزيا ، واصدار الصحيفة النسائية المركزية ، والمؤتمرات النسائية وغيرها.

ثمة عاملان ـ عامل اقتصادي وعامل سياسي ـ في تاريخ الحركة العمالية دفعا باتجاه ضرورة العمل المستقل في صفوف البروليتاريا النسائية . فمع تكاثر عدد العاملات، وتزايد منافستهن في سوق العمل ، طرحت مسألة التنظيم النقابي للعاملات بحدة وحيوية متزايدتين . وبات من الضروري ـ للحفاظ على مصالح الحركة النقابية ولضمان انتصارات البروليتاريا ـ ان يجري « تحييد » تلك العناصر المبعثرة ، المتدنية الوعي ، التي بدأت تظهر كعقبة خطيرة في وجه الحركة الطبقية للعمال . بعبارة اخرى ، بات من الضروري زج النساء في النضال النقابي. وفي عام ١٨٩٥ ، انشأت **اللجنة العليا للنقابات** في المانيا هيئة فرعية متخصصة بالتحريض بين النساء ؛ وتوصلت الى ابتكار اساليب جديدة للعمل بين الجماهير النسائية ؛ واضطلعت بنمط خاص من الدعاية والتحريض بين العاملات . وطوال التسعينيات، ظلت صحيفة **غلايشهايت** تصدر كلسان حال لحركة نسائية كان يغلب عليها الطابع النقابي ـ الاقتصادي ، لا السياسي .

اما العامل الثاني الذي اظهر ضرورة العمل المستقل بين النساء ؛ داخل اطر الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، فهو

عامل **سياسي** . خلال السنوات العشرة الاخيرة ، طرحت مسألة الاصلاح الانتخابي والنضال من اجل توسيع الحريات الديمقراطية بمزيد من الحدة والالحاح في عدد كبير من البلدان . ونتيجة لذلك ، طرأ تحول ملموس على مواقف المنظمات العمالية السياسية من الحركة العمالية النسائية . وعلى الرغم من ان الحزب كان يعترف بفائدة اجتذاب العناصر البروليتارية النسائية الى النضال السياسي، الا انه لم يكن يستشعر تلك الفائدة بالالحاح نفسه الذي دفع بالنقابات الى البحث عن اشكال وسبل جديدة للوصول الى قلب المرأة العاملة وعقلها . ففي التسعينيات ، لم يكن يوجد حزب عمالي واحد في العالم تجلى نشاطه في مجال تنظيم البروليتاريا النسائية . ومع ان مؤتمر الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني في **غوثا** عام ١٨٩٦ وافق ، بعد اصرار وفد النساء الاشتراكيات الديمقراطيات ، على انشاء منصب « أمينة السر للنساء » المسؤولة عن كافة اوجه العمل بين البروليتاريا النسائية ، الا ان الاشتراكيين الديمقراطيين الالمان اغفلوا هذه التوصية عندما وضعوا النظام الداخلي الجديد لحزبهم ، في مؤتمر **ماينز** عام ١٩٠٠ . ولكن ، كان يكفي ان تظهر مسألة الاصلاح الانتخابي في **اللاندتاغ** الالمانية (المجالس المحلية للمقاطعات) ، ليطرأ تحول ملموس على موقف الحزب من الحركة النسائية العمالية .

وتعود الجذور العميقة للامبالاة الحزب تجاه هذه

المسألة الى العامل التالي : بسبب حرمان النساء من حقوقهن السياسية ، تبين ان النشاط من اجل كسب الكوادر الحزبية النسائية اقل اهمية بكثير ، من منظار المكاسب المباشرة للحركة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، من النشاط المبذول في صفوف البروليتاريين الذكور . ذلك ان التحريض بين العاملات لا يؤتي النتائج الملموسة سريعا . انه عمل ليس « للحاضر » وانما للمستقبل البعيد . غير ان مسألة النضال من اجل الاصلاح الجذري للنظام الانتخابي دفعت بالنساء، هن ايضا ، الى حلبة الصراع السياسي . فاذا بكسب العاملات الى صفوف الحزب ، بوصفهن اصواتا انتخابية ممكنة ، يكتسب اهمية حيوية . فبدات الحركة الاشتراكية النسائية في المانيا تخطو خطوات واسعة الى الامام في مطلع القرن العشرين . لأنها باتت تحظى بتأييد واسع من الحزب، في وقت هو بالضبط موعد تفجر النضال من اجل الاصلاح الانتخابي .

الصورة تكاد تكون مماثلة في البلدان الاخرى . في انكلترا ، يمكن تفسير لا مبالاة الاحزاب الاشتراكية تجاه الحركة العمالية النسائية بالنجاح الذي احرزته « **حركة المطالبة بحق الاقتراع للنساء** » (**السوفراجيت**) بين العاملات . وطوال فترة من الزمن ، ظلت هذه الحركة المدافع الوحيد عن المطالب السياسية للنساء . غير ان بروز الحاجة الى الاصلاح الجذري للنظام التمثيلي في انكلترا ،

سرعان مـــا اثار الاهتمام بالحركة العماليـــة النسائية . فتأسست **العصبة العمالية النسائية** عام ١٩٠٦ ، بوصفهـا الفرع النسائي **لحزب العمال البريطاني** . وحددت هـذه هدفها على انه اولا رص صفوف كـــافة قوى البروليتاريا النسائية ، ومن ثم النضال من اجل نيل الحقوق السياسية للنساء . وقد انشأ **الحزب الاشتراكي الديمقراطي البريطاني،** عام ١٩٠٩ ، لجنة خاصة تتولى الدعاية الخاصة بين النساء. ونظم مناضلو الحزب ، ومعظمهم من النساء ، حملة للمطالبة بحق الاقتراع للجميع ، للرد علـى « حركـة المطالب بحق الاقتراع للنساء » التي كانت تضع شروطا لاهلية النســاء للاقتراع (١) .

على الرغم من الغاء البند الخامس من القانون الانتخابي النمساوي ، فان النضال من أجل الاصلاح الانتخابي فـي النمسا حظر هو ايضا الدعاية الحزبية بين النساء، وادى الى اعتماد صيغة تنظيمية نهائية لهذا النوع الخاص مـن العمل الحزبي .

في بلجيكـا ، تترافق بدايـات الحركـة الاشتراكية

---

(١) كان القانون الانتخابي البريطاني آنذاك يضع شروطا مـــادية (ملكية ومال) لمنح المواطنين حق الاقتراع ، فيحرم من هذا الحق كل من لا تتوافر عنده هذه الشروط . ولم تكن « حركة المطالبة بحق الاقتـراع للنساء » تطالب بازالة هذه القيود . (المترجم) .

النسائية مع انطلاقة النضال من اجل الاصلاح الانتخابي .

اما في الولايات المتحدة ، حيث كانت « قضايا طبقية ملحة » مطروحة على الطبقة العاملة ، وحيث كانت الحركة الاشتراكية تصطدم باستمرار بالنظام البرلماني المهترىء ، كانت مصالح الحزب هي ايضا التي دفعته الى اجتذاب العاملات للنضال السياسي . وفي عام ١٩٠٨ ، انشأ **الحزب الاشتراكي في الولايات المتحدة** لجنة نسائية للتحريض والدعاية بين العاملات . ومن جهة ثانية ، كانت الحركة الاشتراكية النسائية ضعيفة متخلفة في أقطار كفرنسا وسويسرا حيث لم تكن قضايا النضال الديمقراطي مطروحة في الشارع .

ختاما ، كانت غالبية الهيئات النسائية الحزبية من لجان ومكاتب وما شابه حديثة العهد في كافة الاقطار ـ باستثناء المانيا ـ وهي لم تتبلور فعلا الى خلال السنوات الخمس او الست التي سبقت الحرب . والواقع ان التقدم الذي احرزته هذه الاحزاب في السنوات الاخيرة في مجال اجتذاب العاملات يدعو فعلا الى الاعجاب . **والمؤتمر العمالي النسائي** المنعقد في كوبنهاغن خير دليل على ذلك . وما من شك في ان انخراط النساء العاملات في الصراع الطبقي سوف يسير قدما الى امام نظرا للدعم الذي يلقاه العمل العمالي النسائي من الحركة الاشتراكية الديمقراطية .

ان مشاركة العاملات في الحركة البروليتارية الشاملة لم يعد « ترفا » ، بل اصبح شرطا اساسيا من شروط انتصار النضال الثوري .

تقرير كولونتاي امام
المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية
(موسكو ٢٢ حزيران ــ ١٢ تموز ١٩٢١) ★

١ ــ موضوعــات
للدعاية بين النساء

أ ــ مبــادىء عــامة :

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية ، بالاشتراك مـع

---

* هذا التقرير والمقررات المستخلصة من مقتطف من محاضر المؤتمرين الثالث والرابع للاممية الشيوعية (الكومنترن) التي ستصدر قريبا عن دار الطليعة ، ترجمة طلال حسيني .

المجلس العالمي للنساء الشيوعيات ، يقر راي المؤتمرين الاول والثاني ، المتعلق بضرورة قيام الأحزاب الشيوعية في الغرب والشرق، بتعزيز العمل بين البروليتاريا النسائية، وبخاصة التربية الشيوعية للجماهير الواسعة من العاملات ، اللواتي ينبغي جرّهن الى النضال من أجل سلطة السوفياتات ومن أجل تنظيم الجمهورية العمالية السوفياتية .

لقد أصبحت ديكتاتورية الطبقة العاملة ، بالنسبة للبروليتاريا في العالم اجمع ، وبالتالي بالنسبة للعاملات ، مسألة رئيسية .

يسير الاقتصاد الرأسمالي في طريق مسدود . فالقوة المنتجة لم تعد قادرة على التطور في أطار النظام الراسمالي . وعجز البورجوازية عن اعادة الحياة الى الصناعة ، وبؤس الجماهير الكادحة المتعاظم وتفشي المضاربات وتفسخ الانتاج، كل هذا يؤدي الى انتعاش الصراع الطبقي في جميع البلدان. وفي هذا الصراع تبرز مسألة معرفة من يدير عملية الانتاج: أحفنة من البورجوازيين والمستثمرين وعلى اسس الراسمالية والملكية الخاصة ، أم طبقة المنتجين الحقيقيين وعلى اسس الشيوعية ؟

يجب على الطبقة الجديدة الصاعدة ، طبقة المنتجين الحقيقيين ، وفقا لقوانين التطور الاقتصادي ، أن تستولي على وسائل الانتاج وأن تخلق الاشكال الاقتصادية الجديدة ، فبهذا فقط تستطيع القوى المنتجة أن تعطي الحد الاقصى

من مردودها ؛ بينما تمنع فوضى الانتاج الرأسمالي هذه القوى حتى من اعطاء المردود المؤهلة له اساسا . وطالما ان السلطة هي في حوزة البورجوازية ، تبقى البروليتاريا عاجزة عن تقويم الانتاج . ولا يمكن لأي اصلاح او تسوية تقوم بها الحكومة الديمقراطية او الاشتراكية في البلدان البورجوازية أن تنقذ الوضع وان تخفف من آلام الشغيلة ؛ لأن هذه الآلام هي نتيجة طبيعية لانهيار النظام الراسمالي ، وهذه الآلام ستبقى ما بقيت السلطة في ايدي البورجوازية ؛ واستيلاء البروليتاريا على السلطة وحده سيمكن الطبقة العاملة من السيطرة على وسائل الانتاج ؛ ومن ضمان امكانية توجيه الاقتصاد وفقا لمصلحتها الخاصة .

لكي تقرب البروليتاريا ساعة اللقاء الحاسم مع العالم البورجوازي المحتضر ، عليها ان تلتزم بحزم بالتكتيك الصارم الذي أوصت به الأممية الثالثة . ان الامر الأساسي الذي ينبغي ان يكون في صميم جدول اعمال الشيوعيين هو تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، فهذا الأمر هو الهدف الذي على أساسه تتحدد طرق عمل الشيوعيين من الجنسين وخط سلوكهم .

وانطلاقا من ان النضال من اجل ديكتاتورية البروليتاريا هو في صميم جدول اعمال الشيوعيين في جميع الدول الراسمالية ، ومن أن بناء الشيوعية هو المهمة الراهنة في البلدان التي وصلت فيها البروليتاريا الى السلطة ، يؤكد

مؤتمر الاممية الثالثة على ان استلام السلطة من قبل البروليتاريا ، ثم تحقيق الشيوعية ، لا يمكن ان يتم دون الدعم النشيط والفعال الذي تقدمه الجماهير النسائية البروليتارية وشبه البروليتارية .

من جهة اخرى لفت المؤتمر انتباه النساء الى ان المحاولات الرامية الى تحرير المرأة ومساواتها الكاملة بالرجل لا يمكنها أن تصادف النجاح دون أن تحظى بدعم الاحزاب الشيوعية .

ـ ب ـ

ان مصلحة الطبقة العاملة تفرض انضمام النساء الى صفوف البروليتاريا المنظمة والمكافحة في سبيل الشيوعية، وهي تفرض هذا الأمر بقدر ما تصبح ازمة الاقتصاد الرأسمالي أكثر حدة واقل قابلية للتصحيح في نظر التجمعات الفقيرة في المدينة والريف . وبقدر ما تطرح الثورة الاجتماعية كأمر لا مناص منه أمام الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية، تطرح امام الشعب الكادح في روسيا السوفياتية ، مهمة اعادة بناء الاقتصاد الوطني على اسس جديدة ، اي على اسس الشيوعية . ويصبح تحقيق هاتين المهمتين أكثر سهولة عندما تأخذ المرأة فيهما دورا أكثر فاعلية ووعيا وارادة .

- ج -

عندما تطرح مسألة الاستيلاء على السلطة بشكل مباشر ، على الاحزاب الشيوعية ان تعرف كيف تميز بوضوح الخطر الكبير الذي تمثله في الثورة جماهير المستخدمين والعمال الخاملين والفلاحين الرازحين تحت تأثير الكنيسة والمفاهيم البرجوازية ، والذي لا توجد اية روابط بعد بينهم وبين الشيوعيين . ان الجماهير النسائية في الشرق والغرب والموجودة بمنأى عن حركة الشيوعيين تشكل بالتأكيد مرتكزا للبرجوازية وحيزا لها ثبت فيه دعايتها المعادية للثورة . ان تجربة الثورة المجرية حيث لعب تخلف وعي الجماهير النسائية دورا محزنا للغاية ، يجب أن تظل ماثلة امام بروليتاريا جميع البلدان المتخلفة والواقفة على ابواب الثورة الاجتماعية .

ان التجربة العملية التي خاضتها الجمهورية السوفياتية قد اظهرت الاهمية الكبرى لمشاركة العاملة والفلاحة في الدفاع عن الجمهورية اثناء الحرب الاهلية اكثر مما اظهرتها في مجالات الادارة السوفياتية . ونفهم اهمية الدور الذي لعبته جماهير العاملات والفلاحات في بناء الجمهورية السوفييتية عندما نطلع على نشاطهن في مجالات تنظيم الدفاع، وفي تدعيم مؤخرة الجيش وفي النضال ضد القحط وفي اعمال التخريب والنسف وغير ذلك ...

ان تجربة الجمهورية السوفاتية يجب أن تستوعب وان

يستفاد منها في البلدان الاخرى . ان المهمة الراهنة الملقاة على عاتق الاحزاب الشيوعية تستخلص في الامـور الآتية : ايصال تأثير الحزب الشيوعي الى أوسع التجمعات النسائية وذلك بواسطة لجان خاصة يشكلها الحزب وبواسطةالاساليب الخاصة التي تمكن من مخالطة النساء واخراجهن منالمجالات التي تتأثر بنشاط الاحزاب المؤتلفة مع البورجوازية وذلك لجعلهن مناضلات حقيقيات من أجل تحرير المرأة الكامل .

ـ د ـ

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية عندما يضع على عاتق الاحـزاب الشيوعية في الشرق والغرب مهمـة تعزيز نشاط الحزب في صفوف البروليتاريا النسائية يظهر فـي الوقت نفسه لعمال العالم اجمع ان تحريرهم من الظلم المزمن ومن العبودية واللامساواة لا يمكن ان يتحقق الا بانتصار الشيوعية . ان ما تقدمه الاحزاب الشيوعية للمرأة في مطلق حالة مـن الحالات ، تعجـز عـن تقديمه الحركة النسائية البرجوازية ؛ وتنتفي تماما كل امكانية لتحرير المرأة طالمـا بقيت سيطرة راس المال والملكية الخاصة قائمة .

ان القانون الانتخابي الذي يعطي للمرأة حقهابالتصويت، لا يلغي عبوديتها في المجتمع والاسرة ؛ كما انه لا يقدم حلا لمشكلة العلاقات القائمة بين الجنسين . ان المساواة الحقيقية

وليست الشكلية بين المراة والرجل لا تقوم الا في اطار نظام تكون فيه المراة العاملة سيدة وسائل الانتاج والتوزيع ومساهمة في ادارة هذه الوسائل تعمل في نفس الظروف التي يعمل فيها سائر أعضاء المجتمع العامل . بكلام آخر لا يمكن للمساواة ان تتحقق الا بقلب النظام الراسمالي واحلال الاشكال الشيوعية محل الاشكال الراسمالية .

ان الشيوعية وحدها هي التي ستخلق ظروفا لا تكون فيها الامومة الوظيفة الطبيعية للمراة في حالة تناقض مع ما تفرضه تعقيدات المجتمع ، وفي ظروف الشيوعية سوف لن يكون هناك ما يحول دون مساهمة المراة في العمل المنتج لصالح الجماعة ، ولكن الشيوعية هي الهدف النهائي للبروليتاريا ، وبالتالي فان نضال العامل والعاملة من أجل هذا الهدف المشترك ، ينبغي له ان يستمر مشتركا ، وان لا يحدث فيه أي انفصام وذلك لمصلحة الطرفين .

— هـ —

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية يؤكد صحة المبادىء الاساسية للماركسية الثورية والتي لا توجد بموجبها مشاكل « نسائية خاصة » ويعتبر ان كل صلة تقيمها المراة العاملة مع النزعةالنسوية البرجوازية وكلاعتماد من قبلها علىالمساومة الصريحة الخيانة ، التي يمارسها الاشتراكيون — الائتلافيون

والانتهازيون تضعف من قوة البروليتاريا وتؤخر الثورة الاجتماعية وتمنع في الوقت ذاته تحقيق الشيوعية وبالتالي تحول دون تحرير المراة .

ان بلوغ المجتمع الشيوعي لا يتسم الا باتحاد كل المستثمرين ، وليس باتحاد القوى النسائية في الطبقتين المتناحرتين . ان جماهير البروليتاريا النسائية عليها أن تستوعب التكتيك الثوري للحزب الشيوعي، وان تأخذ القسط الاكثر فعالية والاكثر تأثيرا على نشاط الجماهير في الحرب الاهلية بجميع اشكالها ومظاهرها .

- و -

ان نضال المراة للتخلص من الاضطهاد المزدوج ، اضطهاد الراسمالية والخضوع المطلق للاسرة وللخدمات المنزلية ، ينبغي له ان يأخذ في المرحلة القادمة من مراحل تطوره صفة عالمية، وذلك بتحوله الى نضال تشنه البروليتاريا من الجنسين بهدف تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي وتحت لواء الاممية الثالثة .

- ز -

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية ، عندما يحض

عاملات العالم ضد كل شكل من أشكال التعاون والتحالف مع النسوية البرجوازية يعلمهن سلفا ان كل اعتماد من قبلهن على الاممية الثانية او على العناصر الانتهازية القريبة منها لا بد الا وان يجر افدح الاخطاء على حركتهن ، وعلى النساء ان يتذكرن ان جميع بذور عبوديتهن ممتدة في جسم النظام البرجوازي ، ولكي يتخلص من هذه العبودية ينبغي الوصول الى نظام اجتماعي جديد .

ان التمسك بالاميتين الثـــانية والثانية والنصف وبالجماعات المماثلة لها يؤدي الى شل مسيرة الثورة، وبالتالي يمنع عملية التحول الاجتماعي بتأجيل ساعة تحرير المرأة.

وبقدر ما يكون ابتعاد الجماهير النسائية عن الاميتين الثانية والثانية والنصف جسديـــا يكـون انتصار الثورة الاجتماعية أمرا مضمونا . ان واجب النساء الشيوعيات هو ادانة المشككين بالتكتيك الثوري الذي تتبعه الاميـــة الثالثة ، وابعاد هؤلاء المشككين عن الصفوف المتراصة للاممية الشيوعية .

وعلى النساء أن يتذكرن دائما ان الاممية الثانية لـم تفكر بتاتا في ايجاد لجان غايتها النضال من أجل تحرير المرأة، اما بالنسبة للاتحاد العالمي للنساء الاشتراكيات ، فقد تكوّن هذا الاتحاد بمبادرة العاملات الخاصة وخارج اطار الاممية الثـانية .

لقد حددت الاممية الثالثة منذ مؤتمرها الاول عام ١٩١٩

موقفها من مسألة اشتراك النساء في النضال من اجل ديكتاتورية البروليتاريا ، فقد عقد بمبادرة الاممية الثالثة وبمشاركتها المؤتمر الاول للنساء الشيوعيات . وفي عام ١٩٢٠ تأسست الامانة العامة العالمية **للتعاونة** بين النساء ، وتقرر تمثيلها الدائم في اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية . ان واجب العاملات الواعيات في كل البلدان هو قطع الصلة مع الاميتين الثانية والثانية والنصف والاصرار بحزم على السياسة الثورية للاممية الثالثة .

- ح -

ان الدعم الذي ستقدمه جماهير العاملات والمستخدمات للاممية الثالثة يجب أن يتمثل اولا بانضمامهن الى صفوف الاحزاب الشيوعية في بلدانهن . أما في البلدان والاحزاب التي لم ينته فيها الصراع بعد بين الاممية الثالثة والاممية الثانية ، فان واجب العاملات هو تقديم الدعم للحزب أو للفريق الذي يؤيد سياسة الاممية الثالثة ، وان يناضلن ايضا دون هوادة ضد العناصر الخائنة والمترددة. ان البروليتاريات الواعيات والمناضلات في سبيل تحررهن لا ينبغي لهن البقاء داخل الاحزاب غير المنتمية الى الاممية الثالثة .

ان كل عدو للاممية الثالثة هو عدو لتحرير المراة .

ان واجب كل عاملة واعية في الشرق والغرب هو

الانتظام تحت الراية الثورية التي ترفعها الاممية الثالثة . ان كل تردد من قبل العاملات في قطع العلاقات مع الجماعات الانتهازية او مع السلطات المعروفة يؤخر انتصار البروليتاريا على صعيد معركة الحرب الاهلية التي تأخذ شكل حرب اهلية عالمية .

٢ ـ اساليب العمل بين النساء

انطلاقا من المبادىء التي سبق ذكرها يقرر المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية ان على الاحزاب الشيوعية في كل البلدان ان تعمل في صفوف البروليتاريا النسائية وعلى الاسس التالية :

١ ـ الانطلاق من المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة داخل الحزب والتنظيمات البروليتارية الاخرى (نقابات ، تعاونيات ، مجالس قدماء في المصانع) .

٢ ـ الاخذ بعين الاعتبار لاهمية مشاركة المرأة في كل اشكال نضال البروليتاريا (ومن ضمنها الكفاح المسلح) واهمية تعريفها على الاسس الجديدة للمجتمع وعلى اشكال تنظيم الانتاج بحسب المبادىء الشيوعية .

٣ ـ النظر الى الامومة باعتبارها وظيفة اجتماعية والقيام بتطبيق كل الاجراءات الكفيلة بحماية المرأة بوصفها أماً .

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية بوقوفه ضد كل شكل من أشكال اقامة تنظيمات خاصة بالنساء داخل الحزب والنقابات والتجمعات ؛ يعرف كم هو ضروري بالنسبة للاحزاب الشيوعية اتباع اساليب خاصة للعمل بين النساء؛ ويقدر فائدة انشاء لجان خاصة لهذا العمل داخل كل حزب شيوعي . من هنا يجد المؤتمر نفسه مقودا بالاعتبارات التالية :

أ ـ استعباد المرأة داخل الاسرة ليس خاصا بالمجتمعات البرجوازية الرأسمالية بل انه موجود ايضا في البلدان التي يسود فيها النظام السوفياتي وذلك اثناء مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية .

ب ـ القصور الذاتي الكبير والتأخر السياسي للجماهير النسائية هي نواقص تفسر كنتائج للابتعاد المزمن للمرأة عن الحياة الاجتماعية ولاستعبادها داخل الاسرة .

ج ـ الوظائف التي فرضتها الطبيعة نفسها على المرأة وما يستتبعها من خصوصيات ؛ يضاف الى ذلك حاجتها الى حماية ورعاية صحية أكبر لما فيه مصلحة المجتمع ككل .

ان الاجهزة الخاصة بالعمل بين النساء يجب أن تكون قطاعات او لجان ملحقة بكل هيئات الحزب ابتداء من اللجنة المركزية وانتهاء بلجان المناطق والضواحي . وهذا القرار هو اجباري بالنسبة لكل الاحزاب المنتمية الى الاممية الشيوعية.

ان المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية يطلب من الاحزاب

الشيوعية ان تنفذ بواسطة لجانها الخاصة بالعمل بين النساء المهمات التالية :

١ ــ تربية أوسع الجماهير النسائية بالروح الشيوعية وجر هذه الجماهير الى صفوف الاحزاب الشيوعية .

٢ ــ محاربة الاحكام المسبقة التي تطلقها النساء على جماهير البروليتاريا من الرجال ؛ وذلك بتعزيز فكرة التضامن بين العاملات والعمال لما فيه مصالح البروليتاريا من الجنسين .

٣ ــ تقوية ارادة المرأة باستخدامها في كل اشكال ومظاهر الحرب الاهلية وايقاظ حيويتها باشراكها في النشاطات الجماهيرية وفي النضال ضد الاستثمار الراسمالي في البلدان البرجوازية ضد غلاء المعيشة ؛ ازمة السكن ؛ البطالة ؛ وباشراكها ايضا في تنظيم الاقتصاد الشيوعي ؛ وبشكل عام في كافة اوجه النشاط في الجمهوريات السوفياتية .

٤ ــ وضع المسائل المتعلقة بحرية المرأة . وبرعايتها كأم ؛ وضعها بشكل دائم في جدول اعمال الحزب والمؤسسات التشريعية .

٥ ــ النضال ضد تأثير التقاليد والعادات البرجوازية والكنيسة بقصد افساح الطريق امام اقامة علاقات اكثر سموا وانسجاما بين الجنسين .

ان عمل جميع اللجان النسائية يجب أن يتم تحت الاشراف المباشر لهيئات الحزب وعلى مسؤولية هذه الهيئات.

ينبغي ان يوجد بقدر الامكان وفاق من التذكير بين

اعضاء اللجان العاملة في صفوف النساء، حيث يكون للاحزاب الشيوعية وجود علني او شبه علني ، على هذه الاحزاب ان تشكل جهازا للعمل بين النساء وان يكون هذا الجهاز سريا ومرتبطا بالجهاز السري العام للحزب ، وفي هذا الجهاز كما في كل جهاز علني ، على كل لجنة ان تضم رفيقة تكون مهمتها توجيه الدعاية السرية بين النساء .

في المرحلة الراهنة يجب ان تكون النقابات ، والاتحادات المهنية المجال الرئيسي لعمل الشيوعيين بين النساء ، وذلك بالنسبة للبلدان التي لم تتخلص بعد من نير الاستثمار الرأسمالي اكثر مما هو بالنسبة للبلدان التي تقام فيها جمهوريات العمال السوفيتية .

على العمل بين النساء ان يقوم تبعا للروحية التالية : وحدة بين الخط السياسي والتنظيم الحزبي . مبادرة حرة للجان والقطاعات في كل ما من شأنه ان يعطي للمرأة تحررها ومساواتها . ولكن هذا الامر لا يتم الا بنشاط الحزب كله ، فالمطلوب هنا تكميل جهود الحزب بنشاطات المرأة ومبادراتها الخلاقة وليس بايجاد موازاة بين الحزب وبين لجان العمل النسائي .

٣ ـ العمل السياسي للحزب بين النساء في بلدان النظام السوفياتي

ان دور القطاعات النسائية في الجمهوريات السوفياتية

هو تربية الجماهير النسائية بروح شيوعية بجر هذه الجماهير الى صفوف الحزب الشيوعي ويتجلى هذا الدور ايضا في تنمية نشاط ومبادرة المراة بجرها الى العمل في بناء الشيوعية وبجعلها مدافعة صلبة عن الاممية الشيوعية .

على القطاعات ان تشرك المراة في جميع مجالات التنظيم السوفياتي ابتداء من الدفاع العسكري عن الجمهورية وانتهاء بمجالات العمل الاقتصادي البالغة التعقيد . على القطاعات ان تسهر على تنفيذ مقررات المؤتمر الثالث لمجلس السوفيات والمتعلق باشراك العاملات والفلاحات بتنظيم وبناء الاقتصاد الوطني بنفس المقدار الذي تسهر فيه على الاعضاء الذين يوجهون وينظمون ويديرون عملية الانتاج . على القطاعات ان تتعاون في اعداد القوانين الجديدة وفي ادخال التعديلات على القوانين السارية وفقا لاحتياجات التحرر الفعلي للمراة. وعليها ايضا ان تراقب وتختبر المبادرات الخاصة بهدف تطوير التشريعات التي تحمي حقوق المراة . على القطاعات ان تحشد اكبر عدد ممكن من العاملات والفلاحات في حملات انتخاب مجالس السوفييت وان تأخذ بعين الاعتبار ان عددا من العاملات والفلاحات ينبغي انتخابهن في مجالس السوفييت واللجان التنفيذية .

ومن المهمات الملقاة على عاتق القطاعات تحسن ظروف العمل للنساء والتخصص في هذا العمل بنشر التعليم المهني الذي يزيل كثيرا من الصعوبات التي تعترض العاملات

والفلاحات في عملهن .

وعلى القطاعات ان تسعى دائما لادخال النساء الى منظمات حماية العمل وان تسعى ايضا لتعزيز نشاط منظمات رعاية الامومة والطفولة .

وستسعى القطاعات لتطوير شبكة المنشآت العامة كدور الايتام ومراكز غسل وتنظيف الالبسة ، ومشاغل تصليح السلع والادوات المختلفة وبهذا تكون المؤسسات الجديدة والقائمة على اسس الشيوعية قد خففت عن المراة بعضا من حمل المرحلة الانتقالية وقدمت لها استقلالها المادي وجعلت منها مشاركة في خلق الاشكال الجديدة للحياة بعد ان كانت مجرد خادمة وعبدة للاسرة .

على القطاعات ان تسعى لتسهيل تثقيف اعضاء النقابات من النساء بروح الشيوعية وذلك بواسطة منظمات العمل النسائي التي تشكل اجزاء من الحزب داخل النقابات نفسها وستحرص القطاعات ايضا على حضور العاملات الملتزم لاجتماعات ممثلي عمال المصانع والمعامل .

وستقوم القطاعات بتوزيع ممثلي الحزب كمتمرنين على جميع فروع العمل : السوفياتات ، الاقتصاد الوطني ، النقابات .

٤ ـ العمل السياسي للحزب بين النساء في البلدان الرأسمالية

ان الظروف الموضوعية هي التي تحدد المهمات المباشرة للجان العمل النسائي . وتتميز هذه الظروف بانهيار الاقتصاد العالمي واشتداد حدة البطالة وتضاؤل الحاجة الى الايدي العاملة النسائية وما يتبع ذلك من انتشار البغاء بين النساء ، وهناك ايضا غلاء المعيشة وازمات السكن وخطر نشوب حرب امبريالية ، يضاف الى ذلك قيام الاضرابات المطلبية بشكل متواصل في جميع البلدان الراسمالية والاتساع المستمر للرقعة التي يغمرها الجو الخانق للحرب الاهلية حتى تشمل العالم اجمع .

ان لجان العمل النسائي بمقاومتها لفصل المراة عن الرجل ولاعتبار خصوصية وضع المراة ، ستسعى ليس فقط لاعتبارها مساوية في الحقوق والواجبات للرجل داخل الحزب والنقابات والتنظيمات العمالية الاخرى ، بل ايضا لايصالها عن طريق الانتخاب ، الى الهيئات القيادية في هذه التنظيمات .

ان حصول المراة على بعض حقوقها لا يعني تحررها الكامل ، ولكنه يؤدي الى اضعاف الاستثمار الراسمالي الذي تعاني منه ، لذلك فان الحزب الشيوعي ولجان العمل النسائي ستسعى في الوقت الذي تطرح فيه نظام السوفيات

كبديل للبرلمانية ؛ الى تمكين العاملات والفلاحات من ممارسة حقوقهن الانتخابية حتى في الانتخابات البرلمانية وغيرها من الانتخابات الاخرى .

وعلى اللجان ان تبذل غاية الجهد في سبيل تمكين العاملات والمستخدمات والفلاحات من القيام بدور فعال وواع في انتخابات السوفياتات ؛ وفي انتخاب ممثلي العمال في المصانع ؛ وعليها ايضا ان تجهد في ايقاظ النشاط السياسي عند الخادمات وفي نشر فكرة السوفياتات خصوصا بين الفلاحات .

وعلى اللجان ان تكرس اكبر قسط من انتباهها لتنفيذ مبدأ الاجر المتساوي للعمل المتساوي ولكي تتمكن اللجان من جمع النساء حولها لا بد لها من اشعار المرأة بقيمتها الفعلية عن طريق محاضرات مبسطة ومفهومة من الجميع .
على اللجان ان تحرص على اشراك النساء الشيوعيات في المؤسسات التشريعية والمجالس البلدية بهدف نشر سياسة الحزب الثورية في هذه المؤسسات . واثناء اشتراكهن في المؤسسات التشريعية والمجالس البلدية وغيرها من اجهزة الدولة البرجوازية ؛ على الشيوعيات ان يتقيدن بحزم بمبادىء الحزب وتكتيكاته وعليهن ان لا ينهمكن في الركض وراء الاصلاحات التي يسمح بها النظام الراسمالي من خلال طرحهن لمطالب الجماهير النسائية ؛ بل عليهن من خلال هذا الطرح ايقاظ نشاط هذه الجماهير وتوجيهها في طريق

الصراع الثوري من اجل دكتاتورية البروليتاريا .

على اللجان ان تبقى على اتصال وثيق مع الشيوعيين داخل البرلمانات والمجالس البلدية ؛ وان تتشاور معهم حول جميع المشروعات التى تتعلق بالنساء ؛ وعليها ايضا ان تجمع النساء حول المطالب التي يطرحها الحزب الشيوعي والتى تدعو الى تحسين وضع الطبقة العاملة ؛ وذلك بتعريف النساء بالخصائص المتأخرة وغير الاقتصادية لنظام الخدمة المنزلية المنفصلة ، وبمساوىء التربية البورجوازية التى ينشأ عليها الاطفال .

على اللجان ان تنشط عملية انضمام العاملات من اعضاء النقابات الى صفوف الحزب وعلى قطاعات الحزب الموجودة في هذه النقابات ان تفصل لهذه الغاية اعضاء مهمتهم تنظيم العمل بين النساء ؛ ويكون عملهم تحت الاشراف المباشر للحزب ولجانه المحلية .

على لجان العمل النسائي ان تقوم بالدعاوة بين اعضاء التنظيمات العمالية وان توصل الافكار الشيوعية الى قيادات هذه التنظيمات عن طريق الشيوعيات اللواتي ينتمين الى دخولها وذلك نظرا لما لهذه التنظيمات من اهمية كبرى اثناء الثورة وبعدها .

ان الهدف الوحيد الذي ينبغي لعمل اللجان ان يسعى الى تحقيقه هو تنمية النشاط الثوري للجماهير بغية الاسراع بتنفيذ الثورة الاجتماعية .

٥ ـ العمل السياسي للحزب بين النساء في البلدان المتخلفة اقتصاديا (الشرق)

في البلدان ذات النمو الصناعي الضعيف على الحزب والقطاعات الحزبية النسائية ان تحصل على اعتراف بالمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة ، داخل النقابات والتنظيمات العمالية الاخرى .

وعلى القطاعات واللجان الحزبية النسائية ان تحارب التعصب والاخلاقيات والعادات التي يفرضها الدين على المرأة ، وان تقوم في سبيل ذلك بالدعاوة حتى في صفوف الرجال .

وعلى الحزب الشيوعي وقطاعاته ولجانه ان تطبق احكام المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة في مجال تربية الاطفال والعلاقات العائلية وفي الحياة العامة .

على القطاعات ان تبحث عن مرتكزات لعملها قبل كل شيء بين جماهير الحرفيات اللواتي يعملن في منازلهن ، والعاملات اللواتي يشتغلن في زراعة الارز والقطن وغير ذلك، وان تنشط بقدر الامكان لانشاء المشاغل الجماعية والتعاونيات الصناعية الصغيرة (بشكل خاص بين شعوب الشرق التي تعيش في اقاصي روسيا السوفيتية) وان تسعى ايضا لتأسيس نقابات تضم العاملات الزراعية . ان رفع

المستوى الثقافي للجماهير هو من افضل الوسائل لمحاربة الروتين والتعصب الديني السائد في بلدان الشرق . لهذا على اللجان الحزبية ان تعمل على فتح المدارس امام الكبار والصغار على السواء وان تسهل عملية دخول النساء الى هذه المدارس ، هذا في بلدان الشرق السوفيتي ، اما في البلدان البرجوازية فعلى اللجان النسائية ان تحرض بشكل مباشر ضد تأثير الفكر البرجوازي على المدارس والتعليم .

وفي اطار الدعاوة التي تقوم بها لجان الحزب النسائية وقطاعاته ، لا بد من اقامة النوادي ودعوة العاملات اليها ، وبشكل خاص اكثرهن تخلفا من الناحية الثقافية ، وينبغي لهذه النوادي ان تكون بمثابة مراكز نموذجية للتثقيف والتعليم والتنظيم وقادرة على ابراز ما تستطيع المراة عمله من اجل تحررها واستقلالها ، ويمكن في هذا المجال اقامة وتنظيم (دور الحضانة ، حدائق الاطفال والمدارس الابتدائية لتعليم الكبار) . اما عند الشعوب التي لا تزال تعيش حياة البداوة فيمكن اقامة نواد متنقلة .

في البلدان ذات النظام السوفيتي على القطاعات الحزبية النسائية بالتعاون مع الاحزاب الشيوعية ان تسهل عملية الانتقال من الاشتراكية الى الشيوعية بوضع المراة اما الحقيقة البديهية القائلة بان وضعها كخادمة في العائلة مهما كانت الاشكال التي ارتداها هذا الوضع حتى الان ليس بوسعه الا ان يزيد من عبوديتها في حين ان العمل الجماعي

يحررها نهائيا .

على القطاعات الحزبية النسائية في هذه البلدان ان تسهر ايضا على ان تضطلع في موضع التنفيذ التشريعات السوفياتية التي تساوي بين الرجل والمراة ، وتدافع عن حقوق الاخيرة . ومن اجل تحقيق هذا الهدف على القطاعات ان تفسح المجال امام النساء للوصول الى مناصب القضاة في المحاكم الشعبية .

كذلك على القطاعات ان تشرك النساء في انتخابات مجالس السوفييت وان ترعى وصول العاملات والفلاحات الى هذه المجالس والى اللجان التنفيذية . ان العمل في صفوف البروليتاريا النسائية في الشرق ، يجب ان يقوم على اساس الصراع الطبقي ومن هنا ينبغي كشف عجز النسوية عن ايجاد حلول مختلف المشاكل التي تطرحها مسالة تحرير المراة . وفي هذا المجال يمكن استخدام القوى الفكرية النسائية (المدرسات مثلا) لنشر التعليم في بلدان الشرق السوفيتي . وعلى لجان الحزب وقطاعاته ان تناضل علنا ضد تاثير الدين والنزعات الفوقية على النفوس وان تتحاشى اثناء هذا النضال الصداقات الفجة والمفتقرة الى الليونة مع المعتقدات الدينية والتقاليد القومية .

ان تنظيم العاملات في الشرق كما في الغرب لا ينبغي له ان يقوم على اساس الدفاع عن المصالح القومية ، بل على اساس اتحاد البروليتاريا العالمية من الجنسين من اجل

تحقيق المهمات المشتركة للطبقة العاملة .

نظرا للاهمية الكبرى التي يتمتع بها العمل مع نساء الشرق ، ولكون هذا العمل يطرح قضايا جديدة كل الجدة امام الاحزاب الشيوعية ، فان الغوص في تفصيلاته يجب ان يتم انطلاقا من معرفة خاصة بطرائق العمل التي تتلاءم مع ظروف بلدان الشرق . من هنا فان معرفة طرائق العمل واساليبه ، يجب ان تتم جنبا الى جنب مع معرفة موضوعات العمل .

اساليب التحريض والدعاوة ، لكي تتمكن قطاعات العمل النسائي من انجاز مهمتها الاساسية، اي تثقيف اوسع جماهير البروليتاريا النسائية بالثقافة الشيوعية ، ومن ثم توسيع منظمات الحزب ، لا بد للاحزاب الشيوعية في الشرق والغرب من استيعاب المبدأ الاساسي لكل عمل بين النساء اي مبدأ « التحريض والدعاوة بالعمل » . والتحريض بالعمل يعني مثل كل شيء اطلاق مبادرة العاملات.، والقضاء على عدم ثقتهن بقواهن الخاصة ، ويتم ذلك بتوجيههن نحو النشاط العملي في مجالات التنظيم وغيرها من مجالات النضال ، بهدف اقناعهن بحقيقة ان كل انتصار الحزب الشيوعي ، وكل نشاط ضد الاستثمار الرأسمالي هو تقدم من شأنه تحسين وضع المرأة . من هنا يتضح الاسلوب الذي ستتبعه الاحزاب الشيوعية وقطاعاتها النسائية في عملها مع النساء : « من الممارسة العملية الى المعرفة النظرية للمثل

العليا للشيوعية » .

ولكي تكون القطاعات لجانا للعمل وليس لمجرد الدعوة الكلامية ، عليها ان تركز على الخلايا الشيوعية الموجودة في الورش والمعامل ، وان توكل مهمة العمل بين عاملات هذه الورش وهذه المعامل الى منظم خاص تأخذه من الخلايا التي سبق ذكرها .

ان نشر الفكر الشيوعي بالعمل يتم في روسيا السوفيتية بادخال العاملة والفلاحة والمستخدمة الى جميع التنظيمات السوفياتية ابتداء من الجيش والمليشيا وانتهاء بالمؤسسات الخاصة بتحرير المرأة كمؤسسات التغذية العامة ومؤسسات التوجيه الاجتماعي ومؤسسات رعاية الامومة .. الخ ، وهناك مهمة ذات اهمية خاصة الا وهي اشراك العاملة في كل اشكال البناء الاقتصادي .

اما الدعاوة بالعمل فانها تتم في البلدان الرأسمالية بجر العاملات الى مختلف اشكال الاضرابات والتظاهرات والعصيانات المسلحة التي من شأنها ان تعمق الوعي الثوري عند العاملات كذلك يمكن ان تتم الدعاوة من خلال العمل السياسي باشكاله المختلفة وخاصة العمل السري في دوائر الارتباط . ثم في تنظيم ايام السبت والاحد الشيوعية ، حيث تعرف العاملة والمستخدمة كيف يمكنها بالعمل الطوعي ان تكون نافعة للحزب .

ان مبدأ اشراك النساء في الحملات السياسية والمطلبية

التي ينظمها الحزب الشيوعي يؤدي الى نفس النتائج التي تؤدي اليها الدعاوة بالعمل. لذلك على لجان الدعاوة التابعة للاحزاب الشيوعية ان توسع من مجالات نشاطها لتشمل اكثر الجماهير النسائية تعرضا للاستغلال في البلدان الراسمالية ولتحرر اذهان بعض النساء في الجمهوريات السوفيتية من خرافات ومن مخلفات النظام الاجتماعي البائد . وعلى اللجان ان تهتم ايضا بحاجات وآلام ومطالب الحركة النسائية لان هذا الاهتمام هو الذي يقنع النساء بان الراسمالية يجب ان تسحق كعدو لدود وبان جميع الطرق يجب ان تمهد امام الشيوعية كمحرر ومخلص بالنسبة لهن .

ان توجيه الدعاوة والتحريض بشكل منهجي يمكن ان يتم بقيام قطاعات العمل النسائي بايجاد وتنظيم اتحادات عامة على مستوى ضاحية او منطقة من مدينة وتضم المستخدمات والعاملات في شتى فروع الصناعة .

في التعاونيات والرابطات على العاملات الشيوعيات ان ينتخبن رفيقات مهمتهن التحريض والتنظيم في صفوف هذه التنظيمات . وعلى القطاعات في الجمهوريات السوفيتية ان تعمل من اجل انتخاب العاملات الى مجالس المصانع وكل الهيئات الموكلة اليها مهمة ادارة ومراقبة وتوجيه عملية الانتاج . باختصار ينبغي ايصال العاملات عن طريق الانتخاب الى جميع التنظيمات والمؤسسات التي يمكن استخدامها في

البلدان الراسمالية اثناء استيلاء البروليتاريا على السلطة ، وفي الجمهوريات السوفيتية لحماية ديكتاتورية البروليتاريا وبناء الشيوعية .

على اللجان ان تضع في المصانع الكبيرة ، كعاملات ومستخدمات ممثلات عنها من النساء الشيوعيات المجربات، وان تضع ايضا كما يحدث في الجمهوريات السوفيتية رفيقات مماثلات في المراكز والتجمعات البروليتارية الكبرى .

على القطاعات النسائية في البلدان الراسمالية ان تحتذي بالحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية الذي ينظم لممثلي العمال اجتماعات وندوات تلاقي بشكل دائم نجاحات منقطعة النظير وان تقوم بدورها بتنظيم اجتماعات عامة للعاملات والشغيلات والفلاحات والمستخدمات تناقش فيها حاجات ومطالب المراة الكادحة ، وان تنتخب لجانا خاصة كفوءة تماما لمتابعة هذه المطالب . وعلى القطاعات ايضا ان تعمق في هذه الاجتماعات البحث في المسائل التي تثار بينها وبين اللجان المنتخبة من قبل العاملات . بالاضافة الى هذا على القطاعات ان ترسل خطباءها للاشتراك في المناقشات التي تجري في اجتماعات الاحزاب الغريبة عن الشيوعية . ان الدعاوة والتحريض من خلال الاجتماعات والنشاطات المشابهة يجب ان يتبعهما تحريض مبرمج ومطول داخل البيوت نفسها ، فعلى كل شيوعية مكلفة بهذه المهمة ان تقوم بزيارات منتظمة لعشر نساء على الاكثر بمعدل زيارة على

الاقل كل اسبوع ولدى كل عمل مهم يقوم به الحزب الشيوعي والجماهير البروليتارية .

وعلى القطاعات ان تنشر الافكار الشيوعية بشكل مبسط وملائم بواسطة توزيع الكراسات والبيانات «المناشير» التي من شأنها ان تحث الجماهير النسائية وتوحدها . وعلى القطاعات ان تتأكد من قيام النساء الشيوعيات باستخدام مؤسسات الحزب ووسائل التوعية العائدة له بالطرق الاكثر فعالية وان تقيم المحاضرات والمناقشات وتدعو اليها الشيوعيات المتخلفات نسبيا والنساء الكادحات اللواتي لا يزلن في اول عهدهن بالنشاط الثوري وذلك بهدف تعميق وعيهن وشحذ اراداتهن . ويمكن ان تقام للعاملات ، دون العمال ، سهرات للمطالعة والمناقشة وذلك في بعض الحالات الخاصة .

ومن المرغوب فيه ، كي تنمو روح الرفاقية بين العامل والعاملة ان لا تقام للنساء الشيوعيات مدارس حزبية خالصة ، اذ من المفروض ان تقدم موضوعات حول العمل بين النساء في كل مدرسة من مدارس الحزب . ويحق لقطاعات الحزب النسائية ان ترسل عددا من ممثليها للمساهمة في مناقشة الموضوعات التي يطرحها الحزب .

٦ ـ تنظيم القطاعات النسائية

تنظم لجان للعمل النسائي الى جانب لجان المناطق

والمقاطعات والى جانب اللجنة المركزية للحزب . يحدد الحزب عدد اعضاء القطاع ، ويتمتع الحزب المنتشر في اكثر من بلد بالحرية الكاملة في تحديد عدد اعضاء القطاعات التابعة له وذلك حسب ظروفه الخاصة . المسؤولة عن القطاع يجب ان تكون في نفس الوقت عضوا في لجنة الحزب المحلية ، وفي حال عدم تمكنها من الجمع بين المسؤوليتين ، عليها ان تحضر جلسات اللجنة المحلية دون ان يكون لها الحق بالتصويت الا على المسائل المتعلقة بالقطاع النسائي ، ويكون حضورها بصفة استشارية في المسائل الاخرى . بالاضافة الى المهمات العامة والتي سيرد ذكرها يجب على القطاعات واللجان النسائية ان تملأ الوظائف التالية : ربط مختلف القطاعات الموجودة في منطقة معينة بالقطاع المركزي . عقد اجتماعات يتم التعرف من خلالها على نشاط القطاعات واللجان العاملة في منطقة معينة وبين القطاع المركزي . ايصال خط الحزب الى المناطق والمقاطعات البعيدة . توزيع القوى العاملة في مجال التحريض . وضع قوى الحزب العاملة في صفوف النساء في حركة دائمة . عقد مؤتمرات منطقية للنساء الشيوعيات مرتين في العام على الاقل ومؤتمرات لممثلات القطاعات ، على ان تكون نسبة التمثيل من عضو الى عضوين عن كل قطاع . واخيرا عقد اجتماعات للعاملات والفلاحات غير الحزبيات .

يضم كل قطاع منطقي (في الاقاليم البعيدة) من خمسة

الى سبعة اعضاء ، ويتم تعيين اعضاء المكتب (السكرتاريا) من قبل هيئة الحزب المسؤولة في المنطقة ، وبحضور مسؤولة القطاع التي يتم انتخابها كسائر اعضاء اللجنة المنطقية ، في مؤتمر الحزب المنطقي .

اعضاء القطاعات واللجان ينتخبون في المؤتمر العام للمدينة او المنطقة او الاقليم ، ويمكن ايضا ان يتم تعيينهم من قبل الهيئات الاعلى مباشرة ، كأعضاء في لجان تابعة للجان الحزب الرئيسية . تضم اللجنة المركزية للعمل بين النساء من عضوين الى خمسة اعضاء بينهن متفرغة واحدة على الاقل .

ان مهمات لجنة العمل النسائي المركزية والتي تنفصل عن مهمات القطاعات المنطقية والتي سيرد ذكرها هي التالية: تقديم التوجيهات الى المحليات والاعضاء العاملين فيها . مراقبة عمل القطاعات . تزويد هيئات الحزب في المناطق برفيقات من العاملات في صفوف النساء . مراقبة ظروف وتطور العمل النسائي على ضوء التحولات الاقتصادية والقانونية واثرها على وضع المراة . السماح لممثلي السلطة بحضور اجتماعات اللجان الخاصة التي تدرس التحسنات التي تلحق بوضع الطبقة العاملة وبمنظمات حماية العمل والطفولة .... وغيرها . اصدار نشرة مركزية وجرائد دورية ووضعها في متناول العاملات . عقد مؤتمر لممثلات جميع الاقاليم مرة في السنة على الاقل . تنظيم رحلات للدعاوة عبر

البلاد . ارسال متمرسين في العمل النسائي الى قطاعات المناطق . دفع العاملات للاشتراك في الحملات السياسية والمطلبية التي ينظمها الحزب . اقامة صلة دائمة مع الامانة العامة العالمية للنساء الشيوعيات . واقامة احتفال سنوي بيوم العاملة العالمي .

اذا لم تكن المسؤولة عن القطاع النسائي التابع للجنة المركزية عضوا في هذه اللجنة ، فان لها الحق بحضور جلساتها ، والتصويت على المسائل المتعلقة بالقطاع ، اما بالنسبة للمسائل الاخرى فان حضورها يكون بصفة استشارية . ويمكن للمسؤولة عن القطاع النسائي المركزي ان تعين من قبل اللجنة المركزية او ان تنتخب من قبل المؤتمر العام للحزب . ولا تصبح قرارات اللجان النسائية نافذة الا بعد موافقة اللجان الحزبية الاعلى مباشرة .

٧ ـ العمل على الصعيد العالمي

ان قيادة عمل الاحزاب الشيوعية في كل البلدان ، وتوحيد القوى العمالية ، وتحقيق المهمات الملقاة على عاتق الاممية الثالثة ، وحشد نساء كل البلدان وكل الشعوب في النضال الثوري من اجل سلطة السوفيات وديكتاتورية الطبقة العاملة على الصعيد العالمي ، هي مهمات الامانة العامة العالمية للنساء الشيوعيات والعاملة الى جانب الاممية الثالثة .

ان عدد اعضاء اللجنة المركزية النسائية وعدد الاعضاء الذين يتمتعون بحق التصويت ، يحدد من قبل اللجنة المركزية للحزب .

٨ ـ قرار حول العلاقات بين النساء الشيوعيات في العالم وبين الامانة العامة النسائية للاممية الشيوعية

(أقر في جلسة ١٢ حزيران بعد تقرير الرفيقة كولونتاي وتعديل الرفيقة زيتكين) .

انطلاقا من توجيهات الاممية الثالثة يقترح المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات على الاحزاب الشيوعية في بلدان الشرق والغرب ان تنتخب بواسطة قطاعاتها النسائية المركزية مراسلات عالميات . ان دور مراسلة الحزب الشيوعي كما تعينه توجيهات الاممية الثالثة ، هو اقامة علاقات منتظمة مع المراسلات العالميات للاحزاب الاخرى ومع الامانة العامة العالمية النسائية في موسكو التي هي جهاز عمل اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة . وعلى الاحزاب الشيوعية ان تزود المراسلات بكل الوسائل التكنيكية ، وبكل الامكانيات التي تسهل الاتصال فيما بينهن ومع الامانةالعامة في موسكو.

تجتمع المراسلات العالميات مرة كل ستة اشهر لكي تتبادل الآراء مع ممثلي الامانة العامة العالمية للنساء . وتستطيع الامانة العامة ان تدعو لعقد اجتماع المراسلات

تبعا للضرورة وفي اي وقت كان .

وتقوم الامانة العامة وبموافقة اللجنة التنفيذية وبالمشاركة الكاملة للمراسلات العالميات بتنفيذ المهمات التي حددتها توجيهات الاممية. وعليها بشكل خاص ان تناضل في كل بلد ، قولا وفعلا ، من اجل تنمية الحركة النسائية الشيوعية التي لا تزال ضعيفة ، وان تحدد اتجاها واحدا لسير هذه الحركة في بلدان الشرق والغرب ، وان تثير وتقود النشاطات الوطنية والعالمية التي من شأنها ان تقوي وتوسع النضال الثوري للبروليتاريا .

وعلى الامانة العامة في موسكو ان تقيم جهازا مساعدا لها في اوروبا الغربية ، بهدف ايجاد ارتباط اكثر وثوقا وانتظاما مع الحركات الشيوعية النسائية في كل البلدان . وستكون وظيفة هذا الجهاز القيام بالاعمال التحضيرية والمكملة لعمل الامانة العامة اي انه سيكون جهازا تنفيذيا صرفا وليس له الحق في تقرير ما يكون ، فهو مرتبط بتوجيهات ومقررات الامانة العامة في موسكو ، وباللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية . وينبغي ان تقوم ممثلة واحدة على الاقل للامانة العامة بمساعدة الجهاز المساعد والعامل في اوروبا الغربية .

اذا ابتعد نشاط الامانة العامة عن توجيهات الاممية تتدخل اللجنة التنفيذية للتصحيح من خلال علاقتها بهذه الامانة ، ويحدث الشيء نفسه بالنسبة لتركيب وشكل عمل

الجهاز المساعد .

٩ – قرار حول اشكال واساليب العمل الشيوعي بين النساء

(أقر في جلسة ١٣ حزيران بعد تقرير الرفيقة كولونتاي) .

ان المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات والمنعقد في موسكو يعلن :

ان انهيار الاقتصاد الراسمالي والنظام البورجوازي المرتكز على هذا الاقتصاد ، وبالمقابل تقدم الثورة العالمية ، تجعل من النضال الثوري من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية وتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، ضرورة حيوية اكثر الحاحا من اي وقت مضى ، بالنسبة لبروليتاريا البلدان التي لا يزال يسود فيها هذا النظام ، كما انها تجعل من هذا النضال ، واجبا لا يمكن تحقيقه الا بالمشاركة الواعية والجريئة والمخلصة للجماهير النسائية .

في البلدان التي تمكنت فيها البروليتاريا من الاستيلاء على جهاز الدولة واقامة ديكتاتوريتها على شكل السوفياتات، كما في روسيا واوكرانيا ، لا يمكن للبروليتاريا ان تباشر في توطيد مواقعها ضد الثورة المضادة في الداخل والخارج ، وان تشرع في بناء الشيوعية ، طالما ان الجماهير النسائية لم تع

بشكل واضح وثابت ؛ ان الدفاع عن النظام الجديد هو في صميم مهماتها ايضا .

ومن هنا فان المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات انسجاما منه مع مبادىء ومقررات الاممية الثالثة ؛ يقترح على الاحزاب الشيوعية في كل البلدان ان تتبنى مهمة ايقاظ الجماهير النسائية ؛ وتوحيدها وتثقيفها بروح الشيوعية ؛ وان تضمها الى صفوف الاحزاب الشيوعية ، وان تشحذ بثبات وعزم ارادة هذه الجماهير على العمل والنضال .

ولبلوغ هذا الهدف على الاحزاب المنتمية الى الاممية الثالثة ان تشكل الى جانب جميع اجهزتها ومؤسساتها الدنيا منها والعليا ؛ ان تشكل قطاعات نسائية يقودها احد اعضاء قيادة الحزب ؛ وذلك بهدف تحريض وتنظيم وتوعية جماهير العاملات اللواتي سيكون لهن ممثلات في كل الهيئات القيادية للحزب .

القطاعات النسائية لا تشكل تنظيمات مستقلة ؛ فهي ليست الا اجهزة عمل مهمتها تحريك العاملات وتوعيتهن بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية وبناء الشيوعية ؛ وهذه القطاعات تعمل في كل المجالات وفي كل الاوقات ؛ تحت اشراف الحزب ؛ ولكنها تتمتع بحرية الحركة الضرورية لانشاء مؤسساتها التي تراعي الخصائص المميزة للمراة ووضعها الخاص الذي لا يزال قائما في المجتمع والاسرة .

على الاجهزة النسائية ان تعي دائما وفي كل نشاطاتها

الغاية من وراء تحقيق مهمتها المزدوجة التالية :

١ ـ حشد المزيد من الجماهير النسائية الاكثر وعيا والاكثر تصميما على المشاركة في نضال الطبقة الثورية وفي نضال كل المضطهدين والمستغلين ضد الراسمالية ومن اجل الشيوعية .

٢ ـ بعد انتصار الثورة البروليتارية ، ينبغي جر الجماهير النسائية للمشاركة ببطولة ووعي في بناء الشيوعية. وعلى الاجهزة النسائية في الاحزاب الشيوعية ان تأخذ بعين الاعتبار ان وسائل التحريض والتوعية ليست في الكتابات والاحاديث بل في اتباع الوسائل التالية : اشراك النساء الشيوعيات في كل مجالات نشاط الاحزاب الشيوعية ، واشراك العاملات في كل اعمال ونضالات البروليتاريا الثورية من اضرابات وتظاهرات وعصيانات وانتفاضات مسلحة .

الفهرست

من هي الكسندرا كولونتاي ؟	٥
الشيوعيـــة والاسرة	١٨
تاريخ حركة العاملات الاشتراكية في اوروبـــا	٤٣
تطور الحركة الاشتراكية للنساء العاملات	٥١
تقرير كولونتاي امام المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية (موسكو ٢٢ حزيران ــ ١٢ تموز ١٩٢١)	٩٣

سلسلة التراث الماركسي

١ ـ ماركس ـ انجلز	البيان الشيوعي
٢ ـ فردريك انجلز	تعاليم الماركسية
٣ ـ كولونتاي	تحرر المرأة العاملة
٤ ـ لي ذوان	اللينينية والثورة الفيتنامية
٥ ـ جيمس كونولي	احاديث المصنع
٦ ـ زينوفييف	اطروحات حول المسألة القومية والثورة الصينية
٧ ـ بليخانوف	محاضرات في فلسفة التاريخ
٨ ـ ماركس ـ انجلز	في الحركة النقابية
٩ ـ اوليانوفسكي	الفلاحون وحركة التحرر
١٠ ـ لينين	نقد المعارضة العمالية
١١ ـ بوخارين	الف باء الشيوعية
١٢ ـ تروتسكي	المسألة القومية
١٣ ـ ج. ستالين	الماركسية والمسألة الفلاحية
١٤ ـ لينين	الشيوعية والشرق
١٥ ـ كاوتسكي	طريق السلطة
١٦ ـ جورج بوليتزر	فلسفة الانوار

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٢٠٠ ق. ل.